تأملات

في

سورة العاديات

(دراسة تحليلية موضوعية)

دكـتور

محب جلال عبد الفراج إسماعيل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين بالمنصورة

جامعة الأزهر

مقدمـــة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وهدانا بفضله إلي خير دين، وجعله لنا شرعة ومنهجاً : ﴿ **يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ (١).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، منح الإنسان العقل، وشرفه بما عرفه به من العلم، وهداه إلي معرفته، فكان فضل الله عليه عظيما .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، أعرف الخلق بالله، وأعلمهم بكتاب الله، ﷺ وبارك عليه في الأولين والآخرين، صلاة وسلاماً دائمين إلي يوم الدين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين .

وبعد :

فإن الكلام حول القرآن الكريم – من أي وجه كان – لا يحل الخوض فيه إلا لمن تأدب بآداب الدين، وتحقق بعلوم المفسرين، وانتهج منهاج العلماء العاملين .

والكلام في تفسير ألفاظ القرآن المجيد يسير عسير، ويسره من حيث أنه عربي مبين، وعسره من حيث عدم التحقق من مراد قائله ... ولذا قيل :

* **التفسير** :

هو محاولة فهم المراد من ألفاظ القرآن الكريم بقدر الطاقة البشرية .

ولأهمية دراسة القرآن الكريم، ومحاولة للوصول إلي مراد الله تعالى في كتابه بقدر الطاقة البشرية كانت هذه التأملات في سورة العاديات .

سورة تطرق القلوب بسرعة أحداثها، وإيقاعاتها، لتنتفض من غفلتها ونومها قبل أن ينتهي الزمان وينتهي العمر، ولتسمح غشاوة المعاصي والذنوب، ورَيْنها عن غطاء القلوب .

سورة تُعلمنا كيف نكون على حذر وترقب دائم مع المسابقة والمسارعة في البذل والعطاء والمجاهدة في سبيل الله قبل فوات الأوان، وانقطاع الأنفاس الأخيرة بهذه الحياة .

---

(١) سورة المائدة الآية : ١٦ .

سورة فيها تنبيه وتحذير وزجر لسوء العاقبة والمصير وسرعته في المجيء لمن غفل ونام في سبات الشهوات والمعاصي وأنكر على ربه تفضله عليه بالنعمة والخير الكثير .

لهذا وغيره وفقني الله تعالى لعمل هذه الدراسة المتأملة في سورة من سور القرآن الكريم .

وقد قسمت البحث إلي : مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة .

تحدثت في المقدمة عن :

– أهمية دراسة السور القرآنية ومحاولة الوصول إلي مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية .

– والتعريف بالسورة الكريمة من حيث تسميتها، وعدد آياتها، ومناسبتها لما قبلها، وما بعدها، وسبب نزولها، وأهم مقاصدها وأهدافها .

المبحث الأول : التفسير اللفظي لكلمات السورة الكريمة .

المبحث الثاني : التحليل والاستنتاج لآيات السورة الكريمة .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : المقسم به .

المطلب الثاني : المقسم عليه .

المطلب الثالث : عرض صورة من مشاهد البعث والحساب والجزاء .

المبحث الثالث : الإعراب والبلاغة .

وفيه مطلبين :

المطلب الأول : إعراب كلمات السورة .

المطلب الثاني : من أوجه البلاغة في السورة الكريمة .

الخاتمة : أهم الفوائد والحكم من دراسة هذه السورة الكريمة، إلي جانب بعض التوصيات المهمة في مجال الدراسات التفسيرية .

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يتقبل منا صالح الأعمال، وأن يغفر لنا ما بدر من تقصير، وألا يحرمنا من أجر، إنه سميع مجيب .

وصلي الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

دكتور / محب جلال عبد الفراج إسماعيل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
جامعة الأزهر

تمهـــيد

*** بين يدي السورة الكريمة :**

قبل الإقدام على الدخول في تفسير السورة المباركة، يحسن البدء بالتعرف على نقاط تساعد على فهم المقصود من تفسيرها .

*** اسم السورة الكريمة :**

سميت في المصاحف القيروانية والتونسية والمشرقية (سورة العاديات) – بدون واو – وكذا في بعض كتب التفاسير – لأن الله تعالى افتتحها بالقسم بالعاديات – فهي تسمية لما ذكر فيها دون حكاية لفظه . وسميت في بعض كتب التفسير (سورة والعاديات) بإثبات الواو [1].

*** السورة بين المكية والمدنية :**

يقول السيوطي : (سورة العاديات) فيها قولان ؛ ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه الحاكم وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ خيلاً، فلبست شهراً لا يأتيه منها خبر، فنزلت (والعاديات ..) الحديث .

ويقول ابن عاشور : واختلف فيها، فقال ابن مسعود، وجابر بن زيد، وعطاء، والحسن، وعكرمة : هي مكية . وقال أنس بن مالك، وابن عباس، وقتادة : هي مدنية .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٩٧ ، تفسير الطبري ٣٠/ ٢٧١ ، الوسيط للواحدي ٤/ ٥٤٤ ، الإتقان ١/ ٣٦ ، الكشاف ٤/ ٤/ ٢٢٨ ، الميزان ٣٠/ ٣٤٥ ، التفسير المنير ٣٠/ ٣٦٦ ، الدر المنثور ٦/ ٦٥١ ، تفسير الرازي ٣٢/ ٦٣ ، أبو السعود ٩/ ١٩٠ ، القرطبي ٢٠/ ١٠٥ ، البحر المحيط ٨ / ٥٠٢ ، تفسير البيضاوي ٢/ ٦١٥ ، تفسير البغوي ٤ / ٥١٧ ، روح المعاني ٣٠ / ٢٧٤ ، ابن كثير ٤ / ٥٤١ ، تفسير الجلالين ٤ / ٤٧٩ ، الجواهر ٢٥ / ٢٥٨ ، فتح القدير ٥ / ٤٨١ ، في ظلال القرآن ٣٠/ ٣٩٥٧ ، تفسير الفاتحة وجزء عم (محمد عبده) صـ١٤٠.. وفي صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة والعاديات ، وكذا في المستدرك للحاكم ٢ / ٥٨١ .

ومن قال بمكية السورة : الطبري، والرازي، والسيوطي – في الدر المنثور – قال : أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت (سورة والعاديات) بمكة [1].

*** ترتيب نزول السورة :**

يقول ابن عاشور : وعدت الرابعة عشرة في ترتيب نزول السور – عند جابر بن زيد بناء على أنها مكية – نزلت بعد سورة (العصر) وقبل سورة (الكوثر) [2].

وترتيبها في كتابة المصحف الشريف (رقم ١٠٠) بين سورتي الزلزلة والقارعة .

*** عدد آيات السورة وكلماتها وحروفها :**

آيات السورة الكريمة إحدى عشرة - بدون البسملة - وعدد كلماتها أربعون، وحروفها مائة وثلاثة وستون [3].

*** سبب نزول السورة المباركة :**

ذكر الواحدي - رحمه الله - في أسباب النزول روايتين :

– قال مقاتل : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حيّ من كنانة، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري، فتأخر خبرهم، فقال المنافقون : قتلوا جميعاً، فأخبر الله تعالى عنها، فأنزل ﴿ **وَالعادِياتِ ضَبحاً** ... ﴾ يعني : تلك الخيل .

---

(١) ينظر : الإتقان ١/ ٣٦ ، الدر المنثور ٦/ ٦٥١ ، القرطبي ٢٠/ ١٠٦ ، التحرير ٣٠/ ٤٩٧ ، حاشية الصاوي ٤/ ٢٩٣ ، فتح القدير ٥/ ٥٧٥ ، التفسير المنير ٣٠/ ٣٦٩ .
وعدها أبو حيان (مدنية) البحر ٨/ ٥٠٢ .
وفي الميزان : والسورة مدنية بشهادة ما في صدرها من الإقسام بمثل قوله تعالى : ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا** .... ﴾ الخ ، الظاهر في خيل الغزاة المجاهدين ... وإنما شرع الجهاد بعد الهجرة [الميزان ٣٠/ ٣٤٥] .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٦٧ ، الإتقان ١/ ٧٢ ، الجواهر ٢٥/ ٢٥٨ ، أهداف كل سورة ٤/ ٢٤١ .

(٣) تفسير الثوري ٢/ ٤٦٠ .

– وعن ابن عباس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً، فأسهبت شهراً لم يأته منها خبر، فنزلت : ﴿ **وَالعادِياتِ ضَبحاً** ﴾ ضبحت بمناخرها، إلى آخر السورة .

ومعنى (أسهبت) : أمعنت في السهوب، وهي الأرض الواسعة، جمع سهب[1] .

وعقب ابن عاشور بقوله : قال في الإتقان : رواه الحاكم وغيره .

وقال ابن كثير : روى أبو بكر البزار هنا حديثاً غريباً جداً، وساق الحديث قريباً مما للواحدي .

وأقول : غرابة الحديث لا تناكر قبوله، وهو مروي عن ثقات، إلا أن في سنده "حفص بن جميع"، وهو ضعيف . فالراجح أن السورة مدنية [2] .

أقول : ما رجحه ابن عاشور هو المرجوح، وبالتحقيق نجد السورة في تعداد المكي، ولا تعلق لها بما ورد في هذا السبب، ويكفي تضعيف ابن كثير له، ولم يورده الطبري في تفسير، ولم يرد في الصحيح .

كيف، وقد عدها ابن عاشور (الرابعة عشرة) في تعداد النزول .. وقد نزلت بين سورتين مكيتين ؟.

*** أهم أهداف السورة ومقاصدها** :

من حكم تقسيم القرآن العظيم إلي مائة وأربعة عشرة سورة، أن يكون لكل سورة أهداف ومقاصد، ومما تقصد سورتنا وتهدف إليه .

يقول سيد قطب – رحمه الله : يجري سياق هذه السورة في لمسات سريعة عنيفة مثيرة، ينتقل من إحداها إلى الأخرى قفزاً وركضاً ووثباً، في خفة وسرعة وانطلاق،

---

(١) أسباب النزول للواحدي صـ٣٤١ ، ابن كثير ٤/ ٥٤٢ ، الدر المنثور ٦/ ٦٥١ ، البيضاوي ٢ / ٦١٥ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، التحرير ٣٠/ ٤٥٧ ، فتح القدير ٥ / ٤٨٤ ، الميزان ٣٠/ ٣٤٧ ، التفسير المنير ٣٠/ ٣٦٩ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٥٧ .

حتى ينتهي إلى آخر فقرة فيها فيستقر عندها اللفظ والظل والموضوع والإيقاع، كما يصل الراكض إلى نهاية المطاف .

– وتبدأ بمشهد الخيل العادية الضابحة، القادحة للشرور بحوافرها، المغيرة مع الصباح، المثيرة للنقع والغبار، الداخلة في وسط العدو فجأة تأخذه على غرة، وتثير في صفوفه الذعر والفرار .

– يليه مشهد ما في النفس من الكنود والجحود، والأثرة والشح الشديد.

– ثم يعقبه مشهد لبعثرة القبور، وتحصيل ما في الصدور .

– وفي الختام ينتهي النقع المثار، وينتهي الكنود والشح، وتنتهي البعثرة والجمع .. إلى نهايتها جميعاً ... إلى الله، فتستقر هناك : ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ (١) .

– ذم خصال تفضي بأصحابها إلى الخسران في الآخرة، وهي خصال غالية على المشركين والمنافقين، ويراد تحذير المسلمين منها .

– ووعظ الناس بأن وراءهم حساباً على أعمالهم بعد الموت، ليتذكره المؤمن ويهدد به الجاحد .

– وأكد ذلك كله بأن افتتح بالقسم، وأدمج في القسم التنويه بخيل الغزاة، أو رواحل الحجيج (٢) .

*** مناسبة السورة لما قبلها :**

قال أبو حيان : لما ذكر سبحانه فيما قبلها – سورة الزلزلة – ما يقتضي تهديداً ووعيداً بيوم القيامة، أتبع ذلك بتعنيف لمن لا يستعد لذلك اليوم، ومن آثر أمر دنياه على أمر آخرته (٣) .

(١) في ظلال القرآن ٣٠ / ٣٩٥٧ ، أهداف كل سورة ومقاصدها ٤ / ٢٤٣ عن الظلال .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٩٨ .

(٣) البحر المحيط ٨/ ٥٠٣ ، النهر الماد من البحر المحيط – بهامش تفسير البحر المحيط ٨/ ٥٠٣ .

وقال الآلوسي : لما ذكر سبحانه فيما قبلها الجزاء على الخير والشر، وأتبع ذلك فيها بتعنيت من آثر دنياه على آخرته ولم يستعد لها بفعل الخير .

ولا يخفى ما في قوله تعالى هناك : ﴿ **وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا** ﴾ (١)، وقوله سبحانه هنا : ﴿ **إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ** ﴾ (٢)، من المناسبة، أو العلاقة، على ما سمعت من أن المراد بالأثقال : ما في جوفها من الأموات، أو ما يعمهم والكنوز (٣).

ويقول العلامة البقاعي : لما ختم سورة الزلزلة بالجزاء لأعمال الشر يوم الفصل، افتتح هذه ببيان ما يجر إلى تلك الأعمال من الطبع، وما ينجر إليه ذلك الطبع مما يتخيله من النفع، موبخاً من لا يستعد لذلك اليوم بالاحتراز التام من تلك الأعمال، معنفاً من أثر دنياه على أخراه، مقسماً بما لا يكون إلا عند أهل النعم الكبار الموجبة للشكر . فمن غلب عليه الروح شكر، ومن غلب عليه الطبع – وهم الأكثر – كفر (٤).

*** مناسبة السورة لما بعدها :**

يقول البقاعي : لما ختم (العاديات) بالبعث، ذكر صيحته فقال : ﴿ **الْقَارِعَةُ** ﴾ أي : الصيحة أو القيامة، سميت بها لأنها تقرع أسماع الناس وتدقها دقاً شديداً عظيماً مزعجاً بالأفزاع، والأجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار، والأشياء الثابتة بالانتثار (٥).

ويقول الرازي : ستأتيكم القارعة على ما أخبرت عنه في قوله : ﴿ **إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ** ﴾ (٦).

---

(١) سورة الزلزلة الآية : ٢ .

(٢) سورة العاديات الآية : ٩ .

(٣) روح المعاني ٣٠/ ٢٧٥ ، التفسير المنير ٣٠/ ٣٦٦ .

(٤) نظم الدرر ٨ / ٥٠٨ ، الأساس ٣٠/ ٦٦٤٤ ، التفسير المنير ٣٠/ ٣٦٦ .

(٥) نظم الدرر ٨ / ٥١٣ ، ينظر : الأساس ٣٠/ ٦٦٥١ ، ٦٦٥٢ .

(٦) تفسير الرازي ٣٢/ ٧٢ .

ويقول أبو حيان : سورة القارعة مكية، ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، لأنه تعالى ذكر وقت بعثرة القبور، وذلك هو وقت الساعة [١].

والخلاصة : أن سورتنا الكريمة تقع بين سورتين تتحدثان عن القيامة وما فيها، بدءاً بالزلزلة، وختاماً بالقارعة، وفيهما ذكر الجزاء ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** ﴾ [٢]، يقابله : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ** ﴾ [٣]، ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [٤]، يقابله : ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ** ﴾ [٥].وبين هذه وتلك سورتنا فيها ذم خصال تفضي بأصحابها إلى الخسران في الآخرة، ويراد بها تحذير المسلمين منها، ووعظ الناس بأن وراءهم حساباً على أعمالهم بعد الموت .

*** كلمة في افتتاح بعض السور بالقسم** :

افتتحت سور من القرآن الكريم بالقسم، والقسم أعلى أنواع التوكيد، وهذه السور – حسب ترتيب المصحف الشريف .

الصافات، ص والقرآن ذي الذكر، الزخرف، الدخان، ق والقرآن المجيد، والذاريات، والطور، والنجم، ن والقلم، والمرسلات، والنازعات، البروج، الطارق، الفجر، الشمس، الليل، الضحى، التين، العاديات، والعصر ... عشرون سورة .

هذا، بخلاف السور المفتتحة بحروف الهجاء، حسب زعم من يقول : إنها للقسم .

---

(١) البحر المحيط ٨ / ٥٠٦ ، النهر الماد ٨ / ٥٠٦ .

(٢) سورة الزلزلة الآية : ٧ .

(٣) سورة القارعة الآيتان : ٦ ، ٧ .

(٤) سورة الزلزلة الآية : ٨ .

(٥) سورة القارعة الآيات : ٨ – ١١ .

المبحث الأول

التفسير اللفظي لكلمات السورة الكريمة

يقول الله تبارك وتعالى

﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١ ﴾

[سورة العاديات]

تمهـــيد

في هذه السورة المباركة أقسم الله تعالى بخيل الغزاة تعدو، فتضبح ضبحاً، وذلك هو صوت أنفاسها عند العدو، وتوري النار، أي : تخرجها، كما يقدح الزند فيوري، وتغير بأهلها على العدو، وقت الصبح، فتهيج بذلك الوقت غباراً، فتتوسط بالغبار من جمعاً من جموع الأعداء، هذا هو المقسم به .

والمقسم عليه : إن الإنسان كفور لنعمة ربه، وإن الإنسان يشهد على نفسه بذلك، وإنه لحب المال قوي مبالغ جداً ثم حذره من ذلك، بأن ما عمله سيجازى عليه يوم القيامة، وأن الله تعالى عليم به [1].

يقول الإمام محمد عبده – رحمه الله : للتفسير مراتب، أدناها : أن يبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله تعالى وتنزيهه، ويصرف النفس عن الشر ويجذبها إلى الخير .

وأما المرتبة العليا فهي لا تتم إلا بأمور :

أهمها : فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن، بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة، غير مكتفٍ بقول فلان وفهم فلان، فإن كثيراً من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعانٍ، ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد .

يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملة، ليفرق بينها وبين ما ورد في الكتاب العزيز .

فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن : أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه، وينظر فيه، فربما استعمل بمعانٍ مختلفة .. ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا : إن القرآن يفسر بعضه ببعض .

---

(١) ينظر : الجواهر في تفسير القرآن ٢٥ / ٢٥٨ .

وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ : موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته [1].

*** التفسير اللفظي لكلمات السورة المباركة :**

– قول الله تعالى : ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ** ﴾ العاديات : جمع العادية، وهو اسم فاعل من العدْو، وهو السير السريع، يطلق على سير الخيل والإبل خاصة، وقد يوصف به سير الإنسان، وأحسب أنه على التشبيه بالخيل، ومنه عدَّاءو العرب يضرب بهم المثل في العدْو . وتأنيث هذا الوصف هنا، لأنه من صفات ما لا يعقل [2].

يقول الطبري : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى : ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا** ﴾ :

فقال بعضهم : عَنَي بالعاديات ضبحا : الخيل التي تعدو وهي تحمحم .

وأورد روايات عن ابن عباس رضي الله عنه – وغيره – قال : الخيل .

وعن عطاء – عن ابن عباس – قال : ليس شيء من الدواب يضبح غير الكلب والفرس .

وقال آخرون : هي الإبل .

وأورد روايات عن عبد الله رضي الله عنه : ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا** ﴾ قال : هي الإبل، إذا ضبحت تنفست .

ثم ذكر رواية عن ابن عباس رضي الله عنه قال : بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجل يسأل عن ﴿ **الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا** ﴾ فقلت له : الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم .

فانفتل عني، فذهب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن ﴿ **الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا** ﴾، فقال : سألت عنها أحدًا قبلي؟ قال : نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال : الخيل حين تغير في سبيل الله، قال : اذهب فادعه لي، فلما وقفت

(١) تفسير سورة الفاتحة وجزء (عم) صـ١٢ – ١٤ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٩٨ ، الدر المصون ٦ / ٥٥٧ .

على رأسه قال : تفتي الناس بما لا علم لك، والله لكانت أول غزوة في الإسلام لَبَدْر، وما كان معنا إلا فرسان : فرس للزبير، وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحا، إنما العاديات ضبحاً : من عرفة إلى مزدلفة إلى منى .

قال ابن عباس : فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه .

ثم عقب الطبري بقوله : وأولى القولين في ذلك – عندي – بالصواب : قول من قال : عني بالعاديات : الخيل، وذلك لأن الإبل لا تضبح، وإنما تضبح الخيل [1].

– وقوله تعالى : ﴿ **ضَبْحًا** ﴾ ضَبَحَ يَضْبَحُ ضَبْحاً وضُباحاً . والضُّباحُ : الصَّهيل، وضَبَحَت الخيلُ تَضْبَحُ ضَبْحاً : أَسْمَعَتْ مِنْ أَفواهها صَوْتًا لَيْسَ بِصَهِيلٍ وَلَا حَمْحَمَة، وَقِيلَ : تَضْبَحُ تَنْحِمُ، وَهُوَ صَوْتُ أَنفاسها إِذا عَدَوْنَ .

---

(١) ينظر : تفسير الطبري ٣٠/ ٢٧١ وما بعدها ، القرطبي ٢٠/ ١٠٦ ، التحرير ٣٠/ ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، البغوي ٤/ ٥١٧ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، الرازي ٣٢/ ٦٣ ، الدر المنثور ٦ / ٦٥٢ ، البحر ٨/ ٥٠٤ ، إعراب القرآن وبيانه ٨/ ٣٨٧ ، الدر المصون ٦/ ٥٥٧ ، الميزان ٣٠/ ٣٤٥ ، مراج لبيد ٢/ ٤٦٠ ، الوسيط ٤/ ٥٤٤ ، التفسير المنير ٣٠/ ٣٦٧ ، المستدرك ، كتاب التفسير، باب (١٠٠) ، رقم ٣٩٦٧ – ١١٠٥ .

قال أبو حيان : ولا يستدل على أنها الإبل بوقعة " بدر" وإن لم يكن فيها إلا فرسان اثنان ، لأنه لم يذكر أن سبب نزول هذه السورة هو وقعة بدر . ثم بعد ذلك لا يكاد يوجد أن الإبل جوهد عليها في سبيل الله ، بل المعلوم أنه لا يجاهد في سبيل الله تعالى إلا على الخيل في شرق البلاد وغربها [البحر المحيط ٨ / ٥٠٤] .

ويقول الآلوسي : والأحرى أن الخبر لا صحة له ، وتصحيح الحاكم محكوم عليه عند أهل الأثر بكثرة التساهل فيه ، وأنه غير معتبر ، ثم إن النقل عنه رضي الله تعالى عنه في المراد "بالعاديات" متعارض . ويرجح إرادة الخيل : أن إثارة النقع فيها أظهر منها في الإبل . [روح المعاني ٣٠ / ٢٧٧]

ويقول الشوكاني : وقد ذهب إليه الجمهور إلى ما ذكرنا من أن ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا** ﴾ هي الخيل ، وكما هو ظاهر من هذه الأوصاف المذكورة في هذه السورة – ما تقدم وما سيأتي – فإنها في الخيل أوضح منها في الإبل [فتح القدير ٥ / ٤٨٢] .

وقال أَبو إِسحق : ضَبْحُ الخيل : صوت أَجوافها إِذا عَدَت .. وَقِيلَ : الضَّبْحُ : شدّةُ النَّفَس عِنْدَ العَدْو، وَقِيلَ : هُوَ الحَمْحَمة، وَقِيلَ : هُوَ كالبَحَحِ، وَقِيلَ : الضَّبْحُ فِي السَّيْرِ كالضَّبْعِ [(١)].

يقول ابن عاشور : والضَّبح : اضطراب النفَس المتردد في الحنجرة دون أن يخرج من الفم، وهو من أصوات الخيل والسباع، وعن عطاء : سمعت ابن عباس يصف الضبح أَحْ أَحْ [(٢)].

– وقوله تعالى : ﴿ **فَالْمُورِيَاتِ** ﴾ التي توري : أي : توقد .. ويقال : وَرَى الزَّنْد يَرِى وَرْيًا – من باب وعد – إذا خرجت ناره، وأصله أن يخرج النار من وراء المُقْدِح .. يقال : ورى يرى مثل ولى يلي، قال : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ** ﴾ [(٣)].

والمعنى هنا : فالخيل التي تطأ الحصي صاكت بحوافرها ما يخرج النار .

ويقال : أوري النار : أوقدها واستخرجها بقدح الزناد، وكان ذلك يحدث عند العرب، بأن يعمد المرء منهم إلي عودين يحك أحدهما بالآخر فتخرج النار، ويسمون الأعلى (الزَّنْد) والأسفل (الزندة) .

ويقال : صكَّت الخيل في سيرها الحجارة فأورت النار : تطاير من الحجارة شرر كالنار – وهذا علي سبيل التشبيه بما سبق – ويقال للخيل إذا فعلت ذلك (موريات) [(٤)].

---

(١) لسان العرب ، مادة (ضبح) ، المفردات ، مادة (ضبح) ، مختار الصحاح ، مادة (ضبح) .
وينظر : تفسير أبي السعود ٩ / ١٩٠ ، مراح لبيد ٢ / ٤٦٠ ، القرطبي ٢٠ / ١٠٦ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٧٥ ، الوسيط ٤/ ٥٤٤ ، الفتوحات الإلهية ٤/ ٥٧٥ ، إعراب القرآن ٨/ ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٤ ، الميزان ٣٠ / ٣٤٥ ، نظم الدرر ٨ / ٥٠٩ ، التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٨ ، تفسير جزء عم صـ١٤٠ .
وعند الرازي : واعلم أن الضبح أصوات أنفاس الخيل إذا عدت ، وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة ، ولكنه صوت نفس [٣٢ / ٦٣] .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٩٨ ، روح المعاني ٣٠ / ٢٧٥ .

(٣) سورة الواقعة الآية : ٧١ .

(٤) المفردات ، مادة (ورى) ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مادة (ورى) ، روح المعاني ٣٠/ ٢٧٥، ابن كثير ٤/ ٥٤١ ، فتح القدير ٥ / ٤٨٢ ، تفسير جزء (عم) صـ١٤٠ ، إعراب القرآن وبيانه ٨ / ٣٨٤ ، التفسير المنير ٣٠/ ٣٦٨ .

- **وقوله تعالى** : ﴿ **قَدْحًا** ﴾ : قدح الزند يقدحه قدحاً : ضربه بحجر ليخرج النار منه .

والقَدْح : حكّ جسم على آخر ليقدح ناراً، يقال : قدح فأورَى .

ومعنى : ﴿ **فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا** ﴾ أن الحوافر ترمى بالحجر من شدة العدو فتضرب به حجراً آخر فتورى النار .

ويجوز أن يراد : قَدح النيرَان بالليل حين نزولهم لحاجتهم وطعامهم [1].

ويقول الطبري : اختلف أهل التأويل في ذلك :

فقال بعضهم : هي الخيل توري النار بحوافرها .. عن عكرمة وقتادة وعطاء والكلبي والضحاك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أن الخيل هيجن الحرب بين أصحابهن وركبانهن .. عن قتادة .

وقال آخرون : بل عني بذلك : الذين يورون النار بعد انصرافهم عن الحرب .. عن ابن عباس .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : مكر الرجال .. عن ابن عباس ومجاهد .

وقال آخرون : هي الألسنة .. عن عكرمة .

وقال آخرون : هي الإبل حين تسير تنسف بمناسمها الحصى .. فيضرب الحصى بعضه بعضاً فيخرج منه النار .. عن عبد الله .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحاً، فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان يوري

(١) ينظر : معجم ألفاظ القرآن ، مادة (قدح) ، مختار الصحاح ، التحرير ٣٠/ ٥٠٠ ، الرازي ٣٢/ ٦٣ ، أهداف كل سورة ٤ / ٢٤٤ ، الوسيط ٤ / ٥٤٤ ، الكشاف ٤ / ٢٢٨ ، تفسير جزء عم صـ١٤٠ ، التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٨ ، الأساس ٣٠ / ٦٦٤٥ .

بالمنطق، والرجال يورون بالمكر مثلاً، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فكل ما أورت النار قدحاً فداخلة فيما أقسم به، لعموم ذلك بالظاهر [1].

– **وقوله تعالى** : ﴿ **فَالْمُغِيرَاتِ** ﴾ : من أغار على العدو، هجم عليه بغتة بخيله، لنهب أو قتل أو إسار .. أغار على القوم إغارة وغارة : دفع عليهم الخليل .. والإغارة : سرعة السير [2].

– **وقوله** : ﴿ **صُبْحًا** ﴾ : أي : في وقت الصبح، وهو المعتاد في الغارات، يعدون ليلاً لئلا يشعر بهم العدو، ويهجمون عليهم صباحاً، ليروا ما يأتون وما يذرون [3].

– **وقوله تعالى** : ﴿ **فَأَثَرْنَ** ﴾ : ثار الغبار أو السحاب يثور ثوراً وثؤوراً وثوراناً – من باب قال – هاج وانتشر ساطعاً، وأثرته : هيجته ونشرته .. فالإثارة : الإهاجة [4].

– **وقوله تعالى** : ﴿ **نَقْعًا** ﴾ : النقع : الغبار الساطع يثور في الجو، ويجمع على : نِقاع ونقوع، والنقع أيضاً : الصياح ورفع الصوت، والمعنى : الخيل تثير الغبار بشدة العدو في المكان الذي أغارت به [5].

---

(١) تفسير الطبري ٣٠/ ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، البغوي ٤/ ٥١٧ ، القرطبي ٢٠/ ١٠٧ .
وعقب بقوله : هذه الأقوال مجاز ، ومنه قولهم : فلان يوري زناد الضلالة ، والأول : الحقيقة ، وإن الخيل من شدة عدوها تقدح النار بحوافرها [البحر ٨/ ٥٠٤ ، روح المعاني ٢٠/ ٢٧٨ ، الميزان ٣٠/ ٣٤٥] .

(٢) روح المعاني ٣٠/ ٢٧٦ ، لسان العرب ، معجم ألفاظ القرآن ، مادة (غور) ، البحر ٨/ ٥٠٢ ، إعراب القرآن وبيانه ٨/ ٣٨٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ٨/ ١٩٠ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٧٦ ، الصاوي ٤/ ٢٩٤ ، مراح لبيد ٢/ ٤٦٠ ، تفسير جزء (عم) صـ١٤٠ .

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مادة (ثور) ، المفردات ، مادة (ثور) ، المصباح المنير ، مادة (ثار) ، مختار الصحاح ، مادة (ثور) ، إعراب القرآن وبيانه ٥ / ٣٨٥ ، الميزان ٣٠ / ٣٤٦ .

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مادة (نقع) ، لسان العرب ، مادة (نقع) ، الأساس ٣٠/ ٦٦٤٥، التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٨ ، القرطبي ٢٠ / ١٠٨ ، الوسيط ٤ / ٥٤٤ ، التحرير ٣٠ / ٥٠١ ، الطبري ٣٠ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، تفسير جزء (عم) صـ١٤٠ ، الميزان ٣٠ / ٣٤٦ .

– **وقوله تعالى** : ﴿ **فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا** ﴾ : أي : توسطن بذلك الوقت، أو توسطن ملتبسات بالنقع ﴿ **جَمْعًا** ﴾ من جموع الأعداء . أو : فوسطن بركبانهن العدو، أي : الجمع الذي أغاروا عليهم [(١)].

– **وقوله تعالى** : ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ : كند : كفر النعمة، وبابه دخل، فهو (كنود) وامرأة كنود أيضاً، والمراد بالإنسان : بعض أفراده، وهو الكافر، و (الكنود): الكفور للنعمة .. كَنَدَ يَكْنُدُ كُنوداً : كَفَرَ النِّعْمَة، ورجل كنَّادٌ وكَنُودٌ، وقيل : هو الجَحُود وهو أَحسن .. وقال الحسن : لَوَّام لربه، يَعُدُّ المصيباتِ ويَنْسى النِّعَم .. وأرض كنود : لا تنبت شيئاً .. وكنود : وصف للذكر والأنثى، مبالغة في كاند، ويدل على الكثرة، أو على رسوخ خلق الكنود في نفس الإنسان [(٢)].

– **وقوله تعالى** : ﴿ **وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ** ﴾ : الشهيد : مبالغة في الشاهد، فهو يشهد على نفسه بالكنود، لظهور أثره عليه .

والشهيد هنا : إما بمعنى المقر، كما في « أشهد أن لا إله إلا الله » .

والمعنى : أن الإنسان مقر بكنوده لربه من حيث لا يقصد الإقرار، وذلك في فلتات الأقوال، مثل قول المشركين في أصنامهم : ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ [(٣)]. فهذا قول يلزمه اعترافهم بأنهم عبدوا ما لا يستحق أن يُعبد، وأشركوا في العبادة مع المستحق للانفراد بها، أليس هذا كنوداً لربهم ؟، قال تعالى : ﴿ **وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ** ﴾ [(٤)].

---

(١) أبو السعود ٨/ ١٩٠ ، روح المعاني ٣٠ / ٢٧٧ ، الجواهر ٢٥ / ٢٥٨ ، القرطبي ٢٠ / ١٠٩ ، الكشاف ٤/ ٢٢٩ ، الطبري ٣٠/ ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، فتح القدير ٥/ ٤٨٣ ، الأساس ٣٠/ ٦٦٤٥ .

(٢) ينظر : لسان العرب ، مادة (كند) ، المفردات ، مادة (كند) ، مختار الصحاح ، مادة (كند) ، الطبري ٣٠/ ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، القرطبي ٢٠/ ١٠٩ ، أبو السعود ٨/ ١٩١ ، فتح القدير ٥/ ٤٨٣ ، مراح لبيد ٢/ ٤٦١ ، إعراب القرآن وبيانه ٨/ ٣٨٦ ، معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٥ ، الأساس ١١ / ٦٦٤٧ ، التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٩ ، المفردات ، مادة (كند) .

(٣) سورة الزمر الآية : ٣ .

(٤) سورة الأنعام الآية : ١٣٠ .

وفي فلتات الأفعال كما يعرض للمسلم في المعاصي، ويجوز أن يكون (شهيد) بمعنى (عليم) [1].

– **وقوله تعالى** : ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ** ﴾ : الخير : ما فيه نفع وصلاح، وما هو ضد الشر بوجه عام، وجمعه (خيور وخيار) مثل بحر وبحور وبحار، ويلحق بهذا استعماله فيما هو أداة للنفع والصلاح، كالمال والخيل .

يقول الراغب : ﴿ **الْخَيْرُ** ﴾ : ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضدّه الشر .

قيل : والخير ضربان : خير مطلق، وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال، وعند كل أحد، كما وصف عليه السلام به الجنة فقال : « لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة » .

وخير وشر مقيدان : وهو أن يكون خيراً لواحد شراً لآخر، كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد وشراً لعمرو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين، فقال في موضع : ﴿ **إِنْ تَرَكَ خَيْرًا** ﴾ [2]، وقال في موضع آخر : ﴿ **أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ** ﴾ [3]. وقوله تعالى : ﴿ **إِنْ تَرَكَ خَيْرًا** ﴾ أي : مالاً، وقال بعض العلماء : لا يقال للمال خير حتى يكون كثيراً [4].

– **وقوله تعالى** : ﴿ **لَشَدِيدٌ** ﴾ : شد الشيء (يشد) – من باب ضرب – قوي فهو (شديد) ... ورجل (شديد) بخيل، أي : قوي مطيق، مجد في طلبه وتحصيله، متهالك عليه، يقال : هو شديد لهذا الأمر وقوي له إذا كان مطيقاً له ضابطاً، وقيل : الشديد :

---

(١) أبو السعود ٨/ ١٩١ ، فتح القدير ٥/ ٤٨٣ ، البحر ٨ / ٥٠٥ ، الكشاف ٤/ ٢٢٩ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٧٩ ، التحرير ٣٠/ ٥٠٤ ، الفتوحات الإلهية ٤/ ٥٧٦ ، التفسير المنير ٣٠/ ٣٦٩ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٨٠ .

(٣) سورة المؤمنون الآيتان : ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) ينظر : معجم ألفاظ القرآن ، المفردات ، مادة (خير) ، المصباح المنير ، مادة (خير) .

البخيل، أي : أنه لأجل حب المال وثقل إنفاقه عليه لبخيل ممسك [1].

– **وقوله تعالى** : ﴿ **بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ** ﴾ : بعثر الشيء : قلب بعضه على بعض ليخرج شيئاً تحته، و ﴿ **بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ** ﴾ أي : أخرج من فيها من الموتى وكشفوا .. وبعثر الشيء : فرقه، وبعثر التراب والمتاع : قلبه .. يقال : بعثرت الشيء وبحثرته – بالحاء – إذا استخرجته وكشفته . وقال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿ **إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ** ﴾ : أثير وأخرج [2].

– **وقوله تعالى** : ﴿ **الْقُبُورِ** ﴾ : القَبْرُ : مقرّ الميّت، قَبَرْتُهُ : جعلته في القَبْرِ، وأَقْبَرْتُهُ : جعلت له مكاناً يُقْبَرُ فيه .. والمَقْبَرَةُ والمِقْبَرَةُ – بفتح الميم وكسرها – موضع الْقُبُورِ، وجمعها : مَقَابِرُ [3].

– **وقوله تعالى** : ﴿ **وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ** ﴾ : التحصيل: إخراج اللُبّ من القشور، قال الله تعالى : ﴿ **وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ** ﴾ أي : أظهر ما فيها وجمع .. كإظهار اللبّ من القشر وجمعه، أو كإظهار الحاصل من الحساب .. وحوصلة الطير : ما يحصل فيه من الغذاء .

قال ابن فارس : أصل التحصيل : استخراج الذهب من المعدن .. وهنا ﴿**وَحُصِّلَ**﴾ أي : جمع محصلا، أو ميز خيره من شره [4].

---

(١) أبو السعود ٨/ ١٩١ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٨٠ ، الوسيط ٤/ ٥٤٥ ، الكشاف ٤/ ٢٢٩ ، فتح القدير ٥ / ٤٨٣ ، مراح لبيد ٢/ ٤٦١ ، المصباح المنير ، مادة : شدَّ ، معاني القرآن للفراء ٣ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، التفسير المنير ٣٠/ ٣٦٩ ، المفردات ، مادة : شد ، الأساس ٣٠/ ٦٦٤٥ ، ٦٦٤٦ .

(٢) ينظر : معجم ألفاظ القرآن ، لسان العرب ، مادة : بعثر ، مختار الصحاح ، مادة : بحثر وبعثر ، فتح القدير ٥ / ٤٨٣ ، إعراب القرآن وبيانه ٨ / ٣٨٦ ، التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٩ .

(٣) ينظر : المفردات ، المصباح المنير ، مختار الصحاح ، مادة : قبر .

(٤) ينظر : المفردات ، مادة : حصل ، مختار الصحاح ، المصباح المنير ، مادة : حصل ، أبو السعود ٨ / ١٩١ ، التفسير المنير ٣٠/ ٣٦٩ .

و ﴿ **الصُّدُورِ** ﴾ الصَّدْر : وَاحِدُ الصُّدُور، وَهُوَ مُذَكَّرٌ . الصَّدْرُ : الجارحة . قال : ﴿ **رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي** ﴾ [(١)]، وجمعه : صُدُورٌ، ثم استعير لمقدّم الشيء كَصَدْرِ القناة، وصَدْرِ المجلس، والكتاب، والكلام ... قال بعض الحكماء : حيثما ذكر الله تعالى القلب، فإشارة إلى العقل والعلم، نحو : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ** ﴾ [(٢)]، وحيثما ذكر الصَّدْرُ فإشارة إلى ذلك، وإلى سائر القوى من الشّهوة والهوى والغضب ونحوها [(٣)].

– **وقوله تعالى** : ﴿ **إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ** ﴾ : الخبر : العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخَبَر، وهو الكلام الذي يفيد به المتكلم السامع واقعة من الواقعات، وجمعه أخبار، وخَبَرْتُهُ خَبْراً وخِبْرَة، وأَخْبَرْتُ : أعلمت بما حصل لي من الخبر، وقيل : الخُبرة : المعرفة ببواطن الأمور .. وقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [(٤)]، أي : عالم بأخبار أعمالكم، وقيل : خبير بمعنى مخبر .. والخبير : العالم [(٥)].

(١) سورة طه الآية : ٢٥ .

(٢) سورة ق الآية : ٣٧ .

(٣) ينظر : المفردات ، معجم ألفاظ القرآن ، المصباح المنير ، مختار الصحاح ، مادة : صدر .

(٤) سورة آل عمران الآية : ١٥٣ ، التوبة : ١٦ ، المجادلة : ١٣ ، المنافقون : ١١ .

(٥) ينظر : المفردات ، معجم ألفاظ القرآن ، مختار الصحاح .

المبحث الثاني

التحليل والاستنتاج

تمهـــيد

يحسن لمن يقوم بالتفسير، أن يشير إلي ما يفيد التيسير، وذلك بعرض مقاصد السورة، لكي تقرب وتتضح الصورة، وقد سبق عرض مقاصد وأغراض السورة، وها أنا أعيد ذكرها من جديد، ولعل في إعادتها ما يفيد .

١) القسم بخيل الغزاة والمجاهدين (الآيات الخمس من أول السورة) .

٢) بيان حال الإنسان إذا خلا قلبه من الإيمان (الآيات السادسة والسابعة والثامنة) وهي خصال تفضي بأصحابها إلي الخسران في الآخرة .

٣) عرض صورة من مشاهد البعث والجزاء والحساب (من الآية التاسعة إلي آخر السورة) وفي ذلك وعظ الناس بأن وراءهم حساباً على أعمالهم بعد الموت، ليتذكره المؤمن ويهدد به الجاحد .

* **القسم بخيل الغزاة والمجاهدين** :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا** ﴾ (١).

تصف هذه الآيات من سورة العاديات الحرب بين كفار مكة والمسلمين، وتبدأ بمشهد الخيل العادية الضابحة، القادحة للشرر بحوافرها، المغيرة مع الصباح، المثيرة للنقع وهو الغبار، الداخلة في وسط العدو فجأة تأخذه على غرة، وتثير في صفوفه الذعر والفرار (٢).

أقسم الله تعالى بالخيل متصفة بصفاتها التي ذكرها، آتية بالأعمال التي سردها، لينوه بشأنها، ويعلي من قدرها في نفوس المؤمنين أهل العمل والجد، ليعنوا بقنيتها وتدريبها على الكر والفر، وليحملهم أنفسهم على العناية بالفروسية والتدرب على ركوب الخيل

(١) سورة العاديات الآيات : ١ – ٥ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن ٣٠ / ٣٩٥٧ ، أهداف كل سورة ٤ / ٢٤٣ .

والإغارة بها، ليكون كل واحد منهم مستعداً في أي وقت كان لأن يكون جزءاً من قوة الأمة إذا اضطرت إلى صدِّ عدو، أو بعثها باعث على كسر شوكته [1].

ويندرج تحد هذا القسم أمور شديدة التعلق به :

* **القسم في القرآن الكريم** :

من البلاغة في الأسلوب مراعاة حال المخاطب، ولما كان الناس مختلفين في طباعهم ومفاهيمهم، وفي تقبل الحق والانقياد لنوره، كان لابد أن يجاري أسلوب القرآن العظيم أساليب العرب، ويخاطب كل أنواع البشر بما يحقق المطلوب، ويهدي إلي الصواب .

ونظم الكلام يقتضي مراعاة غرض المتكلم في الأداء، وحال المخاطب في القبول .

فإذا كان المخاطب خالي الذهن، صافي النفس، مهيأ للقبول، جاء الكلام خبرياً بلا قسم ولا توكيد .

أما النفس التي غشيتها ظلمات الباطل، أو داخلتها الشكوك والأوهام، فإن الحال هنا يقتضي توكيد الكلام بأداة أو أكثر من أدوات التوكيد، حتى يصل الكلام به إلي الإذعان والقبول، وترك العناد واللجاج بالباطل .

والقسم من أساليب التوكيد، وطريق من طرقه، فهو كالبرهان لدفع الإنكار، واستدراج بالخصم إلي الاعتراف بما كان يجحد، والأخذ على يده لترك العناد والمكابرة .

والقسم من المؤكدات المشهورة، التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، وقد نزل القرآن الكريم للناس كافة، وخاطب العقل والوجدان، وأبرز لصدق دعواه الدليل والبرهان .

ولذا نرى تنوع القرآن الكريم في أساليبه ومخاطباته، تبعاً لتنوع العقول والإدراكات، وهذا سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم .

وألفاظ القسم : الحلف، اليمين، الإيلاء، القسم .

---

(١) تفسير جزء (عم) صـ١٤١ .

أركانه : مقسم، مقسم به، مقسم عليه (جواب القسم)، علاقة بين المقسم به والمقسم عليه، وأدوات القسم (حروفه) .

هذا، ولله تعالى أن يقسم بذاته، أو بمخلوقاته، أو بفعله [1].. أما العباد : فالإسلام قد حرَّمَ القسم بغير الله تعالى .

(١) إذا ما تأملنا جميع ما أقسم الله به وجدنا : إما شيئاً أنكره بعض الناس، أو احتقره لغفلته عن فائدته ، أو ذهل عن موضع العبرة فيه ، أو خفيت عليه حكمة الله في خلقه ، أو اعتقد فيه غير الحق الذي قرر الله تعالى شأنه عليه ، **فيقسم الله به** : إما لتقرير وجوده في عقل من ينكره ، أو تعظيم شأنه في نفس من يحقره ، أو تنبيه الشعور إلى ما فيه عند من لا يذكره ، أو لقلب الاعتقاد في قلب من أضله الوهم أو خانه الفهم [تفسير جز (عم) صـ١٠] .

المطلب الأول
المقســم به

* **وجه مناسبة القسم بالعاديات وصفاتها** :

أقسم الله تعالى بأقسام ثلاثة على أمور ثلاثة، تعظيماً للمقسم به، وتشنيعاً على المقسم عليه [(١)].

أولاً : القسم بقوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ .

يقول الفخر الرازي : وجه القسم به من وجوه :

أحدها : ما ذكرنا من المنافع الكثيرة فيه في قوله تعالى ﴿ **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ** ﴾[(٢)].

اعلم أنه تعالى لما حكم بمجيء يوم القيامة، وقسم أهل القيامة إلى قسمين : الأشقياء والسعداء، ووصف أحوال الفريقين، وعلم أنه لا سبيل إلى إثبات ذلك إلا بواسطة إثبات الصانع الحكيم، لا جرم أتبع ذلك بذكر هذه الدلالة فقال : ﴿ **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ** ﴾ وجه الاستدلال بذلك على صحة المعاد : أنها تدل على وجود الصانع الحكيم، ومتى ثبت ذلك فقد ثبت القول بصحة المعاد [(٣)].

وثانيها : كأنه تعريض بالآدمي الكنود، فكأنه تعالى يقول : إني سخرت مثل هذا لك وأنت متمرد عن طاعتي .

وثالثها : الغرض بذكر إبل الحج الترغيب في الحج، كأنه تعالى يقول : جعلت ذلك الإبل مقسماً به، فكيف أضيع عملك، وفيه تعريض لمن يرغب في الحج، فإن الكنود

---

(١) حاشية الصاوي ٤ / ٢٩٣ .

(٢) سورة الغاشية الآية : ١٧ .

(٣) تفسير الرازي ٣٢ / ١٥٧ .

هو الكفور، والذي لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ (١).

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعطاء وأكثر المحققين : أنه الخيل، وروي ذلك مرفوعاً . قال الكلبي : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى أناس من كنانة، فمكث ما شاء الله أن يمكث لا يأتيه منهم خبر، فتخوف عليها، فنزل جبريل عليه السلام بخبر مسيرها .

فإن جعلنا الألف واللام في ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ﴾ للمعهود السابق كان محل القسم خيل تلك السرية، وإن جعلناهما للجنس كان ذلك قسماً بكل خيل عدت في سبيل الله .

واعلم أن ألفاظ هذه الآيات تنادي أن المراد هو الخيل، وذلك لأن (الضبح) لا يكون إلا للفرس، واستعمال هذا اللفظ في الإبل يكون على سبيل الاستعارة، كما استعير المشافر والحافر للإنسان، والشفتان للمهر، والعدول من الحقيقة إلى المجاز بغير ضرورة لا يجوز .

وأيضا فالقدح يظهر بالحافر ما لا يظهر بخف الإبل .

وكذا قوله تعالى : ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ لأنه بالخيل أسهل منه بغيره .

وقد روينا أنه ورد في بعض السرايا (٢).

يقول العلامة جوهري : أقسم الله تعالى بالخيل الموصوفات بما ذكر على أن الإنسان يكفر بنعمة الله، وهو معترف بذلك، وأنه مغرم بالمال، لعمري أي مناسبة بين القسم والمقسم عليه !!

يقسم الله تعالى بالشمس والقمر والكواكب والنهار والليل على وحدانيته وعلى البعث، ولكن هنا أي مناسبة بينهما ؟ فاعلم أن هذا المقام مقام الجهاد، والجهاد تعقبه

(١) سورة آل عمران الآية : ٩٧ .

(٢) تفسير الرازي ٣٢ / ٦٣ ، ٦٤ .

الغنائم غالباً .. وفي الحديث : « **إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ...** » الخ [(١)].

وفي حديث آخر : « **إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** » [(٢)].

وقد غزا المسلمون وانتصروا، وفتحت لهم الدنيا، ونالوا العز والغنى والثروة، فالله تعالى بهذا يذكر الغزاة في ضمن نوع الإنسان قائلاً ما معناه : إياكم أيها الغزاة أن تقصدوا جمع المال، فإنه يوشك أن يكون حائلاً بينكم وبين الفضائل فتعاقبوا يوم القيامة، وهذا تحذير بلطف على طريق الإشارة، لأنه ليس يليق أن يكون القوم مجدين في الجهاد ويقال لهم ستحاسبون على النعم، بل يكتفي بالتلميح .

ثم إن ما خافه ﷺ قد تم فعلاً، وأصبحت الأمة العربية متحاربة متقاطعة متدابرة، وأصبح بأسهم بينهم شديداً، وفرق حب المال جمعهم، وتحاربوا على الملك، لأن الملك يأخذ من المال ما يشتهي . ثم إن كل عقاب في الآخرة يتقدمه عذاب في الدنيا، وقد تم هذا كله [(٣)].

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب ٤٧ الصدقة على اليتامى ، بلفظ (إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها) .
– صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، رقم ١٢١–١٢٣ ، سنن النسائي ، كتاب الزكاة ، باب ٨١ .
كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق ، للإمام عبد الرءوف المناوي ، بهامش الجامع الصغير للسيوطي ١ / ٦٨ ، بلفظ (إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح من زهرة الدنيا) (ق) ، يعنى البخاري ومسلم .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ٢٦ ، ما أخبر به النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلي يوم القيامة ، رقم ٢١٩١ .
– سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب ١٩ ، فتنة النساء ، رقم ٤٠٠٠ .

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ٢٥ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

ويقول العلامة الجمل : وإنما أقسم الله عز وجل بخيل الغزاة، تنبيهاً على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله، ولما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والأجر والغنيمة [(١)].

ويقول ابن عاشور : ومناسبة القسم بـ (العاديات) وما عطف عليها – وأنها خيل الغزاة – : فالقسم بها لأجل التهويل والترويع، لإشعار المشركين بأن غارة تترقبهم وهي غزوة بدر، مع تسكين نفس النبي ﷺ من التردد في مصير السرية التي بعث بها مع المُنذر بن عَمْرو – إذا صحّ خبرها – فيكون القسم بخصوص هذه الخيل إدماجاً للاطمئنان [(٢)].

*** لطيفة** :

يقول الفخر الرازي : إنه تعالى إنما أقسم بالخيل لأن لها في العدو من الخصال الحميدة ما ليس لسائر الدواب، فإنها تصلح للطلب والهرب، والكر والفر، فإذا ظننت أن النفع في الطلب عدوت إلى الخصم لتفوز بالغنيمة، وإذا ظننت أن المصلحة في الهرب قدرت على أشد العدو، ولا شك أن السلامة إحدى الغنيمتين .

فأقسم تعالى بفرس الغازي لما فيه من منافع الدنيا والدين .

وفيه تنبيه على أن الإنسان يجب أن يمسكه لا للزينة والتفاخر، بل لهذه المنفعة، وقد نبه تعالى على هذا المعنى في قوله : ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً** ﴾ [(٣)]، فأدخل لام التعليل على الركوب وما أدخله على الزينة .

وإنما قال : ﴿ **صُبْحًا** ﴾ لأنه أمارة يظهر به التعب، وأنه يبذل كل الوسع ولا يقف عند التعب، فكأنه تعالى يقول : إنه مع ضعفه لا يترك طاعتك، فليكن العبد في طاعة مولاه أيضاً كذلك [(٤)].

---

(١) الفتوحات الإلهية ٤ / ٥٧٥ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠٢ .

(٣) سورة النحل الآية : ٨ .

(٤) تفسير الرازي ٣٢ / ٦٤ .

ويقول البقاعي : ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ** ﴾ أي : الدواب التي من شأنها أن تجري بغاية السرعة، وهي الخيل التي ظهورها عز، وبطونها كنز، وهي لرجل آخر، ولرجل وزر ..، وإنما أقسم الله تعالى بها ليتأمل ما فيها من الأسرار الكبار التي باينت به أمثالها من الدواب، كالثور - مثلاً - والحمار، ليعلم أن الذي خصها بذلك فاعل مختار، واحد قهار، فالقسم في الحقيقة به سبحانه [1].

ثانياً : القسم بقوله تعالى : ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ .

ومناسبة الآية لما سبقها يقول البقاعي : لما ذكر – سبحانه – عدوها، أتبعه ما ينشأ عنه، فقال عاطفاً بفاء التعقيب، لأن العدو بحيث يتسبب عنه ويتعقبه الإيراء . ولما كان الإيراء أثر القدح، قال : ﴿ **قَدْحًا** ﴾ [2].

ذكر المفسرون هنا أقوالاً كثيرة :

١) هي الخيل توري النار بحوافرها .. عن ابن عباس، وعكرمة، وعطاء، والكلبي، والضحاك، ومقاتل .

٢) أن الخيل هجين الحرب بين أصحابها وبين عدوهم، كما قال تعالى : ﴿ **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ** ﴾ [3]. ومنه يقال للحرب إذا التحمت : حمى الوطيس .. عن قتاده .

٣) الذين يغزون ويورون النار لحاجتهم وطعامهم ﴿ **فَالْمُورِيَاتِ** ﴾ هم الجماعة من الغزاة .. عن ابن عباس .

٤) الألسنة توري نار العداوة، لعظم ما تتكلم به، ويظهر بها من إقامة الحجج، وإقامة الدلائل، وإيضاح الحق، وإبطال الباطل .. عن عكرمة .

٥) أفكار الرجال توري نار المكر والخديعة .. عن ابن عباس، ومجاهد .

---

(١) نظم الدرر ٨ / ٥٠٨ .

(٢) نظم الدرر ٨ / ٥٠٩ .

(٣) سورة المائدة الآية ٦٤ .

والعرب تقول : إذا أراد الرجل أن يمكر صاحبه : أما والله لأقدحت لك، ثم أورين لك .

٦) ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ : هي الأسنة .. عن عكرمة .

إذا وقع السيف على البيضة فاقتدحت ناراً، فكذلك يسمونها .

٧) هي المنجحات أمراً، يعني : الذين وجدوا مقصودهم، وفازوا بمطلوبهم من الغزو - والحج - ويقال للمنجح في حاجته : ورى زنده، ثم يرجع هذا إلي الجماعة المنجحة . ويجوز أن يرجع إلي الخيل ينجح ركبانها . قال جرير :

وجدنا الأزد أكرمهم جواداً .. وأوراهم إذا قدحوا زناداً

ويقال : فلان إذا قدح أورى، وإذا منح أورى .

يقول الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحا، فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمكر - مثلاً - وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله تعالى دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فكل ما أورت النار قدحاً، فداخلة فيما أقسم به، لعموم ذلك بالظاهر.

ويقول الرازي : واعلم أن الوجه الأول أقرب، لأن لفظ الإيراء حقيقة في إيراء النار، وفي غيره مجاز، ولا يجوز ترك الحقيقة بغير دليل [(١)].

ويقول الإمام محمد عبده : يذكر الله سبحانه وصفاً من أوصاف الخيل العاديات يحصل لها عند العدو، ولذلك رتبه بالفاء، وهو ما يكون من إخراجها النار بحوافرها

(١) ينظر : تفسير الطبري ٣٠/ ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، تفسير الرازي ٣٢/ ٦٥ ، القرطبي ٢٠/ ١٠٧ ، البحر المحيط ٨ / ٥٠٤ ، البغوي ٤ / ٥١٧ ، التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠٠ ، مراح لبيد ٢ / ٤٦٠ ، ابن كثير ٤/ ٥٤٢ ، القرطبي ٢٠/ ١٠٧ ، وقال : (قال ابن جرير : والصواب الأول : أنها الخيل حين تقدح بحوافرها) ، الدر المنثور ٦ / ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، الميزان ٣٠/ ٣٤٥ .

أثناء الجري، أي : يقسم بالعاديات التي يتطاير الشرر من حوافرها عند عدوها وهي تقدح بحوافرها الأرض قدحاً [(١)].

ثالثاً : القسم بقوله تعالى : ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ :

ومناسبة الآية لما سبقها : يقول البقاعي : ولما ذكر العدو وما يتأثر عنه، ذكر نتيجته وغايته [(٢)].

وللمفسرين هنا قولان :

١) أنها الخيل في سبيل الله، يعني : الخيل تغير على العدو وقت الصبح، وكانوا يغيرون صباحاً، لأنهم في الليل يكونون في الظلمة فلا يبصرون شيئاً، وأما النهار فالناس يكونون فيه كالمستعدين للمدافعة والمحاربة .

أما هذا الوقت : فالناس يكونون فيه في الغفلة وعدم الاستعداد .

فقوله تعالى : ﴿ صُبْحًا ﴾ أي : وقت الصبح، وهو المعتاد في الغارات، يعدون ليلاً لئلا يشعر بهم العدو، ويهجمون عليهم صباحاً ليروا ما يأتون وما يذرون .

٢) أنها الإبل حين تدفع بركبانها من جمع يوم النحر إلي منى، وحين يفيضون من جمع إلي جمع، والسنة : أن لا تغير إلا صباحاً .

يقول الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه أقسم بالمغيرات صبحاً، ولم يخصص من ذلك مغيرة دون مغيرة، فكل مغيرة صبحاً، فداخلة فيما أقسم به [(٣)].

---

(١) تفسير جزء عم صـ١٤٠ .

(٢) نظم الدرر ٨ / ٥٠٩ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري ٣٠/ ٢٧٥ ، تفسير الرازي ٣٢ / ٦٥ ، ابن كثير ٤ / ٥٤٢ ، أبو السعود ٨ / ١٩٠ ، الفتوحات الإلهية ٤ / ٥٧٥ عن أبي السعود ، حاشية الصاوي ٤ / ٢٩٤ عن أبي السعود ، القرطبي ٢٠ / ١٠٧ ، ١٠٨ .

* **تعقيب** :

يقول الأستاذ محيي الدين الدرويش : قال أبو حيان وأجاد : وفي هذا دليل على أن هذه الأوصاف لذات واحدة، لعطفها بالفاء التي تقتضي التعقيب، والظاهر : أنها الخيل التي يجاهد عليها العدو من الكفار .

ولا يستدل على أنها الإبل بوقعة بدر، وإن لم يكن فيها إلا فرسان اثنان، لأنه لم يذكر أن سبب نزول هذه السورة هو وقعة بدر .

ثم بعد ذلك لا يكاد يوجد أن الإبل جوهد عليها في سبيل الله، بل المعلوم أنه لا يجاهد في سبيل الله تعالى إلا على الخيل في شرق البلاد وغربها .

قال هذا في معرض رده على من فسر (العاديات) بالإبل [(١)].

فالموصوف في الثلاثة، أعني (العاديات) وما بعدها هو الخيل، أي : والخيل العاديات، فالخيل الموريات، فالخيل المغيرات، فالموصوف ذات واحدة وهي الخيل التي يجاهد عليها العدو من الكفار في شرق البلاد وغربها [(٢)].

ويقول الرازي : واعلم أن ألفاظ هذه الآيات تنادي أن المراد هو الخيل، وذلك لأن الضبح لا يكون إلا للفرس، واستعمال هذا اللفظ في الإبل يكون على سبيل الاستعارة، كما استعير المشافر والحافر للإنسان، والشفتان للمهر، والعدول عن الحقيقة إلى المجاز بغير ضرورة لا يجوز .

وأيضاً : فالقدح يظهر بالحافر ما لا يظهر بخف الإبل، وكذا قوله : ﴿ **فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا** ﴾ لأنه بالخيل أسهل منه بغيره [(٣)].

---

(١) إعراب القرآن وبيانه ٨ / ٣٨٧ ، البحر المحيط ٨ / ٥٠٤ .

(٢) الفتوحات الإلهية ٤ / ٥٧٥ عن السمين الحلبي .

(٣) تفسير الرازي ٣٢ / ٦٣ ، الكشاف ٤ / ٢٢٩ .

*** من آثار الإغارة :**

تذكر الآيات الكريمة بعض الآثار المترتبة على الإغارة، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا** ﴾ يقول تعالى ذكره : فأثارت الخيل غبار التراب بحوافرها، وأصعدن الغبار من الأرض من شدة عدوهن .

فوسطن بركباهن جمع القوم، أي : كن وسط الجمع .

يقول ابن عاشور : الفاء العاطفة لقوله : ﴿ **فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا** ﴾ عاطفة على وصف « المغيرات »، والمعطوف بها من آثار وصف المغيرات، وليست عاطفة على صفة مستقلة، مثل الصفات الثلاث التي قبلها، لأن إثارة النقع وتوسط الجمع من آثار الإِغارة صُبحاً، وليسا مُقْسماً بهما أصالةً، وإنما القسم بالأوصاف الثلاثة الأولى .

فلذلك غُير الأسلوب في قوله : ﴿ **فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا** ﴾ فجيء بهما فعلين ماضيين ولم يأتيا على نسق الأوصاف قبلهما بصيغة اسم الفاعل، للإِشارة إلى أن الكلام انتقل من القَسَم إلى الحكاية عن حصول ما ترتب على تلك الأوصاف الثلاثة، ما قُصد منها من الظفر بالمطلوب الذي لأجله كان العَدو والإِيراء والإِغارة عقبه، وهي الحلُول بدار القوم الذين غزَوهم [(١)].

ويقول أبو السعود : والفاءات : للدلالة على ترتبِ ما بعد كل منها على ما قبلها .. فإن توسط الجمعِ مترتب على الإثارة، المترتبة على الإيراء، المترتبِ على العدو [(٢)].

يقول البقاعي : ولما كان الأعداء حال الإغارة يكون مختلفاً، تارة يميناً، وتارة شمالاً، وتارة أماماً، وتارة وراء، بحسب الكر والفر في المصاولة والمحاولة، تارة أثر الهارب، وأخرى في مصاولة المقبل المحارب، فينشأ عنها الغبار الكثير لإثارة الهواء له،

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٠١ ، ٥٠٢ .

(٢) تفسير أبس السعود ٨ / ١٩٠ ، ١٩١ ، روح المعاني ٣٠ / ٢٧٧ عن أبي السعود ، فتح القدير ٥ / ٤٨٣ .

واصطدام بعضه ببعض لتعاكسه بقوة الدفع من قوائمها وما تحركه منه، وكان المقسم به منظوراً فيه إلى ذاته، ونتيجة القسم منظوراً فيها إلى الفعل بادئ بدء، مع قطع النظر بالأصالة عن الذات، عطف على اسم الفاعل - بعد حله إلى أن وصلتها - فقال : ﴿ **فَأَثَرْنَ بِهِ** ﴾ أي : بفعل الإغارة ومكانها وزمانها من شدة العدو ﴿ **نَقْعًا** ﴾ أي : غباراً مع الأعناق والصياح والزجر بالعنق، حتى صار ذلك الغبار منحبكاً ومنعقداً عليها .

ولما كان المغير يتوسط الجمع عند اختلال حالهم، فيفرق شملهم، لأنهم متى افترقوا حصل فيهم الخلل، ومتى اختلفوا تخللهم العدو ففرق شملهم قال : ﴿ **فَوَسَطْنَ بِهِ** ﴾ أي : بذلك النقع أو الفعل والوقت والموضع ﴿ **جَمْعًا** ﴾ أي : وهو المقصود بالإغارة، فدخلت في وسط ذلك الجمع لشجاعتها وقوتها وطواعيتها وشجاعة فرسانها [1] .

(١) نظم الدرر ٨ / ٥٠٩ .

المطلب الثاني
ذكر المقسم عليه

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾ .

كما أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء، فإنه تعالى أقسم على ثلاثة أشياء .

يقول الرازي : واعلم أنه تعالى لما ذكر المقسم به، ذكر المقسم عليه، وهو أمور ثلاثة :

أحدها : قوله : ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ قال الواحدي : أصل الكنود : منع الحق والخير، والكنود : الذي يمنع ما عليه ...

ويقول الإمام محمد عبده : يقسم الله تعالى بالخيل صاحبة تلك الصفات التي رفع ذكرها، ليؤكد الخبر الذي جاء في قوله : ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ .

ويقول البقاعي : ولما أقسم بالخيل التي هي أشرف الحيوان، كما أن الإنسان المقسم لأجله أشرف ما اتصف منه بالبيان ، وتجري به أفكاره كخيل الرهان ، وتقدح المعاني تارة بأشرف اللمعان ، وأخرى بأخس ما يقع به الاقتران ... وكانت الإغارة – في الغالب– لأجل قهر المغار عليهم على أموالهم ..

قال مجيباً للقسم بذكر المقسم عليه، حاكماً على النوع - باعتبار عدِّ المخلص لقلته عدماً – مؤكداً لما لهم من تكذيب ذلك، فإن كل أحد يتبرأ من مثل هذا الحال : ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ** ﴾ أي : هذا النوع بما له من الأنس بنفسه والنسيان لما ينفعه ﴿ **لِرَبِّهِ** ﴾ أي : المحسن إليه بإبداعه، ثم إبقائه وتدبيره وتربيته ﴿ **لَكَنُودٌ** ﴾ أي : كفور نكد لسوء المعاملة[1].

(١) نظم الدرر ٨ / ٥٠٩ ، ٥١٠ .

وقال القرطبي : قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ هذا جواب القسم، أي : طبع الإنسان على كفران النعمة، .. قال الحسن : يذكر المصائب وينسى النعم، أخذه الشاعر فنظمه :

يَا أَيُّهَا الظَّالِـــــمُ فِي فِعْلِهِ .. وَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَى مَنْ ظَلَـــمْ
إِلَى مَتَى أَنْتَ وَحَتَّى مَتَـــى .. تَشْكُو الْمُصِيبَاتِ وَتَنْسَى النِّعَمْ

وَرَوَى أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ **اللَّهِ** صَلَّى **اللَّهُ** عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْكَنُودُ : هُوَ الَّذِي يَأْكُلُ وَحْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ، وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ » (١) .

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : (الْكَنُودُ) بِلِسَانِ كِنْدَةَ وَحَضْرَمَوْتَ : الْعَاصِي، وَبِلِسَانِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ : الْكَفُورُ . وَبِلِسَانِ كِنَانَةَ : الْبَخِيلُ السَّيِّئُ الْمَلَكَةِ .. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْإِنْسَانُ هُنَا الْكَافِرُ .

وقال أبو بكر الواسطي : الكنود : الذي ينفق نعم الله في معاصي الله . وقال أبو بكر الوراق : الكنود : الذي يرى النعمة من نفسه وأعوانه .

وقال الترمذي : الذي يرى النعمة ولا يرى المنعم . وقال ذو النون المصري : الهلوع، والكنود : هو الذي إذا مسه الشر جزوع، وإذا مسه الخير منوع . وقيل : هو الحقود الحسود . وقيل : هو الجهول لقدره . وفي الحكمة : من جهل قدره : هتك ستره .

قلت : فهذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى الكفران والجحود، وقد فسر النبي ﷺ معنى الكنود بخصال مذمومة، وأحوال غير محمودة، فإن صح – أي الحديث– فهو أعلى ما يقال، ولا يبقى لأحد معه مقال (٢) .

---

(١) قال ابن كثير : رواه ابن أبي حاتم – من طريق جعفر بن الزبير وهو متروك – فهذا ضعيف ٤/ ٥٤٢ ، ينظر : التقريب ١/ ١٣٠ ، الأساس ١١/ ٦٦٤٧ وفيه : رواه ابن جرير عن أبي أمامة موقوفاً .

(٢) ينظر : تفسير القرطبي ٢٠/ ١٠٩ ، ١١٠ ، البغوي ٤ / ٥١٨ ، الدر المصون ٦ / ٥٦٠ ، مراج لبيد ٢/ ٤٦١ ، فتح القدير ٥/ ٤٨٥ ، الرازي ٣٢ / ٦٧ ، إعراب القرآن وبيانه ٨ / ٣٨٧ ، = = ٣٨٨ ، الكشاف ٤/ ٢٢٩ ، البحر ٨/ ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، التحرير ٣٠/ ٥٠٢ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٧٩ ، حاشية الصاوي ٤/ ٢٩٤ ، تفسير جزء عم صـ١٤١ ، الطبري ٣٠ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، الدر المنثور ٦ / ٦٥٥ ، ٦٥٦ .

يقول الشوكاني : وتفسير الكنود بالكفور للنعمة أولى بالمقام، والجاحد للنعمة كافر بها، ولا يناسب المقام سائر ما قيل [(١)].

ويعقب الرازي بقوله : واعلم أن معنى الكنود لا يخرج عن أن يكون كفراً أو فسقاً، وكيفما كان فلا يمكن حمله على كل الناس، فلابد من صرفه إلى كافر معين، أو إن حملناه على الكل كان المعنى : أن طبع الإنسان يحمله على ذلك إلا إذا عصمه الله بلطفه وتوفيقيه من ذلك .

والأول : قول الأكثرين، قالوا : لأن ابن عباس قال : إنها نزلت في قرط بن عبد الله ابن عمرو بن نوفل القرشي، وأيضاً : فقوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ** ﴾ لا يليق إلا بالكافر، لأن ذلك كالدلالة على أنه منكر لذلك الأمر [(٢)].

ويقول أبو السعود : وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ ... جواب القسم، والمراد بالإنسان بعض أفراده، روي أن رسول الله ﷺ بعث إلى أناس من بني كنانة سرية، واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصاري – وكان أحد النقباء – فأبطأ عليه الصلاة والسلام خبرها شهراً، فقال المنافقون : إنهم قتلوا، فنزلت السورة إخباراً للنبي ﷺ بسلامتها، وبشارة له بإغارتها على القوم، ونعياً على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود .

وفي تخصيص خيل الغزاة بالإقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه، كأنه قيل : وخيل الغزاة التي فعلت كيْت وكيْت، وقد أرجف هؤلاء في حق أربابها ما أرجفوا أنهم مبالغون في الكفران [(٣)].

يقول ابن عاشور : والتعريف في (الإنسان) تعريف الجنس، وهو يفيد الاستغراق غالباً، أي : أن في طبع الإنسان الكنود لربه، أي : كفران نعمته، وهذا عارض يعرض لكل إنسان على تفاوت فيه، ولا يسلم منه إلا الأنبياء وكُمَّل أهل الصلاح، لأنه عارض

---

(١) فتح القدير ٥ / ٤٨٣ .

(٢) تفسير الرازي ٣٢ / ٦٧ .

(٣) تفسير أبي السعود ٨ / ١٩١ .

ينشأ عن إيثار المرء نفسه، وهو أمر في الجبلة لا تدفعه إلا المراقبة النفسية، وتذكر حق غيره .

وبذلك قد يذهل أو ينسى حق الله تعالى، والإنسان يحس بذلك من نفسه في خطراته، ويتوانى أو يغفل عن مقاومته لأنه يشتغل بإرضاء داعية نفسه، والأنفس متفاوتة في تمكن هذا الخُلق منها، والعزائم متفاوتة في استطاعة مغالبته .

وهذا ما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾ فلذلك كان الاستغراق عرفياً أو عاماً مخصوصاً، فالإنسان لا يخلو من أحوال مآلها إلى كفران النعمة، بالقول والقصد، أو بالفعل والغفلة، فالإشراك كنود، والعِصيان كنود، وقِلة ملاحظة صَرف النعمة فيما أعطيت لأجله كنود، وهو متفاوت، فهذا خلق متأصل في الإنسان، فلذلك أيقظ الله تعالى له الناس ليريضوا أنفسهم على أمانة هذا الخلق من نفوسهم، كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا** ﴾ الآية [(١)]، وقوله: ﴿ **خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ [(٢)]، وقوله : ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى . أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى**﴾[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنه : تخصيص الإنسان هنا بالكافر فهو من العموم العرفي .

وروي عن أبي أمامة الباهلي – بسند ضعيف – قال : قال رسول الله ﷺ : " الكنود هو الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده"، وهو تفسير لأدنى معاني الكنود، فإن أكله وحده، أي : عدم إطعامه أحداً معه، أو عدم إطعامه المحاويج، إغضاء عن بعض مراتب شكر النعمة، وكذلك منعه الرفد، ومثله : ضربه عبده، فإن فيه نسياناً لشكر الله الذي جعل العبد ملكاً له ولم يجعله ملكاً للعبد، فيدل على أن ما هو أشد من ذلك أولى بوصف الكنود .

---

(١) سورة المعارج الآية : ١٩ .

(٢) سورة الأنبياء الآية : ٣٧ .

(٣) سورة العلق الآيتان : ٦ ، ٧ .

وقيل التعريف في (الإنسان) للعهد، وأن المراد به الوليد بن المغيرة، وقيل : قرطة بن عبد عمرِو بن نوفل القرشي [١].

أكد الله تعالى هذا الخبر لزعم كثير من أهل الكنود أنهم شاكرون، فأكد لهم الخبر ليرجعوا إلي أنفسهم، ويمتحنوا أعمالهم، ليتبين لهم أن الغرور هو الذي غشهم في معرفة حالهم، فيفزعوا إلي الله تعالى بالشكر، ولا يكون الشكر إلا بالبذل في الحق الذي يبقى أثره، ويجمل عند العقلاء ذكره [٢].

الثاني : من الأمور التي أقسم الله تعالى عليها، قوله : ﴿ **وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ** ﴾.

والمناسبة : ولما كان إقدام الإنسان على الظلم عجباً ، فإذا كان يشهد على نفسه بالظلم كان أعجب ، قال مؤكداً لما لأكثر الخلق قبل البعث والمحاققة من إنكار كفرانه : ﴿ **وَإِنَّهُ** ﴾ أي : الإنسان ﴿ **عَلَى ذَلِكَ** ﴾ أي : الكنود العظيم، حيث أقدم على مخالفة الملك الأعظم، المحسن مع الكفر لإحسانه ﴿ **لَشَهِيدٌ** ﴾ لأنه مقر [٣].

وفيه قولان :

أحدهما : أن الإنسان على كنوده لشهيد، يشهد على نفسه بذلك، إما لأنه أمر ظاهر لا يمكنه أن يجحده، أو لأنه يشهد على نفسه بذلك في الآخرة، ويعترف بذنوبه .

القول الثاني : المراد وإن الله على ذلك لشهيد، ويكون ذلك كالوعيد والزجر له عين المعاصي، من حيث إنه يحصى عليه أعماله .

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، تفسير جزء عم صـ١٤١ ، ١٤٢ ، أهداف كل سورة ومقاصدها ٤/ ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، عن تفسير جزء عم ، إعراب القرآن وبيانه ٨ / ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، التفسير المنير ٣٠ / ٣٧٠ .

(٢) ينظر : تفسير جزء عم صـ١٤٢ .

(٣) نظم الدرر ٨ / ٥١٠ ، ٥١١ .

وأما الناصرون للقول الأول فقالوا : إن قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخير لَشَدِيدٌ** ﴾ الضمير فيه عائد إلى الإنسان، فيجب أن يكون الضمير في الآية التي قبله عائداً إلى الإنسان، ليكون النظم أحسن [(١)].

والشهيد هنا : إما بمعنى المقر، كما في (أشهد أن لا إله إلا الله) .

والمعنى : أن الإنسان مقر بكنوده لربه من حيث لا يقصد الإِقرار، وذلك فلتات الأقوال .. وفي فلتات الأفعال، والمقصود من هذه الجملة : تفظيع كنود الإنسان بأنه معلوم لصاحبه بأدنى تأمل في أقواله وأفعاله .

ويجوز أن يكون « شهيد » بمعنى (عليم)، ومتعلقه محذوفاً، دل عليه المقام، أي : عليم بأن الله ربه، أي : بدلائل الربوبية، ويكون قوله : ﴿ **عَلَى ذَلِكَ** ﴾ بمعنى : مع ذلك، أي : مع ذلك الكُنود هو عليم بأن ربه مستحق للشكر والطاعة لا للكنود .

وقال ابن عباس والحسن وسفيان : ضمير ﴿ **وإنَّه** ﴾ عائد إلى « ربه »، أي : وأن الله على ذلك لشهيد، والمقصود أن الله يعلم ذلك في نفس الإِنسان، وهذا تعريض بالتحذير من الحساب عليه .

وهذا يسوغه أن الضمير عائد إلى أقرب مذكور [(٢)].

يقول الإمام محمد عبده : ...ثم يزيد الأمر تأكيداً بقوله : ﴿ **وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ** ﴾ أي : إن الإنسان لشهيد على كنوده وكفره لنعمة ربه، لأنه يفخر بالقسوة على من دونه، وبقوة الحيلة على من فوقه، وبكثرة ما في يده من المال مع الحذق في توفيره ، وقلما يفتخر بالمرحمة وكثرة البذل والخدمة في اختيار المواضع – اللهم إلا أن يريد غشاً للسامع – وفى

(١) تفسير الرازي ٣٢ / ٦٧ ، ينظر : فتح القدير ٥ / ٤٨٣ ، ابن كثير ٤ / ٥٤٢ .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، حاشية الصاوي ٤ / ٢٩٤ ، الفتوحات الإلهية ٤/ ٥٧٦ ، القرطبي ٢٠ / ١١٠ ، روح المعاني ٣٠ / ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، الطبري ٣٠ / ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، البحر ٨ / ٥٠٥ ، الكشاف ٤ / ٢٢٩ ، ابن كثير ٤ / ٥٤٢ .

ذلك كله شهادة على نفسه ، بالكنود، لأن ما يفتخر به ليس من حق شكر النعمة، بل من آيات كفرها[1].

الأمر الثالث : مما أقسم الله تعالى عليه : قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخير لَشَدِيدٌ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وإن الإنسان لحب المال لشديد .

والمناسبة : يقول البقاعي : ولما كان من العجائب أن يكفر أحد إحسان المنعم، وهو شاهد على نفسه، ذكر الحامل له على ذلك حتى هان عليه فقال : ﴿ **وَإِنَّهُ** ﴾ أي: الإنسان من حيث هو مع شهادته على نفسه بالكفر الذي يقتضي سلب النعم ﴿ **لِحُبِّ** ﴾ أي : لأجل حب ﴿ **الْخَيْرِ** ﴾ أي : المال الذي لا يعد غيره لجهله خيراً ﴿ **لَشَدِيدٌ** ﴾ أي : بخيل بالمال ضابط له ممسك عليه، أو بليغ القوة في حبه .

﴿ **الْخَيْرِ** ﴾ : المال، من قوله تعالى : ﴿ **إِنْ تَرَكَ خَيْرًا** ﴾ [2]، وقوله : ﴿ **وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا** ﴾ [3]، وهذا لأن الناس يعدون المال فيما بينهم خيراً، كما أنه تعالى سمى ما ينال المجاهد من الجراح وأذى الحرب سوءاً في قوله : ﴿ **لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ** ﴾[4].

قال ابن زيد في قوله : ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾ قال : الخير : الدنيا، وقرأ : ﴿ **إِنْ تَرَكَ خَيْرًا** ﴾ قال : المال، وعسى أن يكون حراماً، ولكن الناس يعدونه خيراً، فسماه الله خيراً، لأن الناس يسمونه خيراً في الدنيا، وعسى أن يكون خبيثاً، وسمي القتال في سبيل الله سوءاً، وقرأ قول الله : ﴿ **فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ** ﴾ قال : لم يمسسهم قتال، قال : وليس هو عند الله بسوء، ولكن يسمونه سوءاً .

---

(١) تفسير جزء عم صـ١٤٢ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٨٠ .

(٣) سورة المعارج الآية : ٢١ .

(٤) سورة آل عمران الآية : ١٧٤ .

فإطلاق كونه خيرًا على المال باعتبار ما يراه الناس، وإلا فمنه ما هو شر يوم القيامة [١].

قال ابن عطية : ويحتمل أن يراد هذا الخير الدنيوي من مال وصحة وجاه عند الملوك ونحوه، لأن الكفار والجهال لا يعرفون غير ذلك . فأما المحب في خير الآخرة فممدوح مرجو له الفور [٢].

وهنا أطلق (الحب) وأراد به الكسب، لأن الكسب شيء والسعي في تحصيله إنما يكون كما ينبغي إذا كان منشؤه حبه، فقوة الإنسان واقتداره على تحصيل المال وتوفيره إنما جاءت له من شدة محبته له، لهذا جعل الشدة وقوة الاحتمال لحب المال، وهي في الحقيقة لكسبه .. لكن إذا عرض له سبيل لفعل ما هو خير على الحقيقة، والنهوض بأمر مما طلبه الله تعالى منه، تراه يضعف وتتضاءل قوته حتى لا يستطيع أن يخطو خطوة في ذلك السبيل – إلا من رحم ربك – وقد فسر (الشديد) بالبخيل، والمعنى على ذلك : وإنه لبخيل شحيح بسبب حبه للمال [٣].

فقوله تعالى : ﴿ **لَشَدِيدٌ** ﴾ أي : لقوي في حبه للمال، وقيل : ﴿ **لَشَدِيدٌ** ﴾ لبخيل، ويقال للبخيل : شديد ومتشدد .

و (شديد) يجوز أن يكون بمعنى مفعول، كأن البخيل شد عن الإفضال، ويجوز أن يكون بمعنى فاعل، كأنه شد صرته فلا يخرج منها شيئاً .

---

(١) ينظر تفسير الرازي ٣٢ / ٦٧ ، الطبري ٣٠ / ٢٧٩ ، أبو السعود ٨ / ١٩١ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٨٠ ، القرطبي ٢٠/ ١١٠ ، التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٠٥ ، الكشاف ٤ / ٢٢٩ ، تفسير جزء عم صـ١٤٢ ، فتح القدير ٥ / ٤٨٣ .

(٢) تفسير جزء عم صـ١٤٢ .

(٣) البحر المحيط ٨ / ٥٠٥ .

وجوز – الكثيرون – أن يراد بالشديد : القوي – ولعله الأظهر – وكأن اللام عليه بمعنى (في)، أي : وأنه لقوي مبالغ في حب المال .

وقال الزمخشري : وإنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوي مطيق، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته سبحانه ضعيف متقاعس . تقول : هو تشديد لهذا الأمر وقوي له، إذا كان مطيقاً له ضابطاً [(١)].

ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود، للإيماء إلى أن من جملة الأمور الداعية للمنافقين إلى النفاق حب المال، لأنهم بما يظهرون من الإيمان يعصمون أموالهم، ويحوزون من الغنائم نصيباً [(٢)].

يقول ابن عاشور : واللام في ﴿ **لِحُبِّ الْخَيْرِ** ﴾ لام التعليل، والخير : المال، قال تعالى : ﴿ **إِنْ تَرَكَ خَيْرًا** ﴾ [(٣)].

والمعنى : إن في خُلق الإنسان الشُّحّ لأجل حبه المال، أي الازدياد منه قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [(٤)].

وحب المال يبعث على منع المعروف، وكان العرب يعيِّرون بالبخل، وهم مع ذلك يبْخَلون بمواساة الفقراء والضعفاء، ويأكلون أموال اليتامى، ولكنهم يسرفون في الإنفاق في مظان السمعة ومجالس الشرب وفي الميسر، قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ . وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا . وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** [(٥)] ﴾ [(٦)].

---

(١) ينظر : القرطبي ٢٠/ ١١٠ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٨٠ ، الكشاف ٤/ ٢٢٩ ، الطبري ٣٠/ ٢٧٩ ، البحر ٨/ ٥٠٥ ، الرازي ٣٢ / ٦٨ ، الفتوحات الإلهية ٤/ ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ابن كثير ٤ / ٥٤٢ ، الوسيط ٤ / ٥٤٥ ، فتح القدير ٥ / ٤٨٣ ، أهداف كل سورة ٤ / ٢٤٦ ، المفردات للراغب ، مادة : شد .

(٢) تفسير أبي السعود ٨ / ١٩١ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٨٠ .

(٤) سورة التغابن الآية : ١٦ .

(٥) سورة الفجر الآيات : ١٨ – ٢٠ .

(٦) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

المطلب الثالث
عرض صورة من مشاهد البعث والحساب والجزاء

يقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ . إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ (١) .

* والمناسبة لما سبق :

يقول الرازي : واعلم أنه تعالى لما عد عليه قبائح أفعاله خَوَّفه – بهذه الآيات– إنه تعالى فرع على الإخبار بكنود الإنسان وشحه استفهاماً إنكارياً عن عدم علم الإنسان بوقت بعثرة ما في القبور، وتحصيل ما في الصدور، فإنه أمر عجيب كيف يغفل عنه الإنسان ! والهمزة للإنكار، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي : أيفعل ما يفعل من القبائح، أو : ألا يلاحظ فلا يعلم حاله إذا بعث من في القبور، وما هو كائن بعد هذه الحال، وما يستقبله من الأهوال، وفي ذلك تزهيد في الدنيا، وترغيب في الآخرة .. وفيه تهديد ووعيد (٢) .

ويقول البقاعي : ولما كان المال فانياً لا ينبغي لعاقل أن يعلق أمله به، فضلاً عن أن يؤثره على الباقي، نبهه على ذلك بتهديد بليغ، فقال مسبباً عن ذلك معجباً، موقفاً له على ما يؤول إليه أمره : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ ... ﴾ (٣) .

والمعنى : ألا يعلم العذابَ جزاءً له على ما في كنوده وبخله من جناية متفاوتة المقدار، إلى حد إيجاب الخلود في النار .

---

(١) سورة العاديات الآيات : ٩-١٠ .

(٢) ينظر : الرازي ٣٢ / ٦٨ ، التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠٦ ، ابن كثير ٤ / ٥٤٢ ، أبو السعود ٨/ ١٩١ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٨٠ ، حاشية الصاوي ٢/ ٢٩٤٠ ، الفتوحات الإلهية ٤/ ٥٧٧ عن أبي السعود ، الأساس ١١ / ٦٦٤٦ عن ابن كثير .

(٣) نظم الدرر ٨ / ٥١١ .

وحذف مفعولا ﴿ يَعْلَمُ ﴾ – ولا دليل في اللفظ على تعيين تقديرهما – فيوكل إلى السامع تقدير ما يقتضيه المقام من الوعيد والتهويل .

وإيراد (ما) لكونهم إذْ ذاك بمعزل عن مرتبة العقلاء، وأن ما في الأرض من غير المكلفين أكثر، فأخرج الكلام على الأغلب .

والمراد بقوله تعالى : ﴿ بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ : إحياء ما في القبور من الأموات الكاملة الأجساد، أو أجزائها .

وقوله تعالى : ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ مُيِّز وبُيِّن، فأبرز ما في صدور الناس، وأخرج وجمع بغاية السهولة من خير وشر، مما يظن مضمره أنه لا يعلمه أحد أصلاً، وظهر مكتوباً في صحائف الأعمال .

وهذا يدل على أن الإنسان يحاسب بها، كما يحاسب على ما يظهر من آثارها [(١)].

وخص أعمال القلوب بالذكر، وترك ذكر أعمال الجوارح، لأنها تابعة لأعمال القلوب، فإنه لولا تحقق البواعث والإرادات في القلوب، لما حصلت أعمال الجوارح [(٢)].

يقول الرازي : في قوله تعالى : ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ : قال أبو عبيدة : أي ميز ما في الصدور، وقال الليث : الحاصل من كل شيء ما بقي وثبت وذهب سواه، والتحصيل : تمييز ما يحصل، والاسم : الحصيلة، قال لبيد :

وكل امرئ يوماً سيعلم سعيه .. إذا حصلت عند الإله الحصائل

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٠٦ ، أبو السعود ٨/ ١٩١ ، الرازي ٣٢/ ٦٨ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٨١ ، حاشية الصاوي ٢/ ٢٩٤ ، الفتوحات الإلهية ٤/ ٥٧٧ ، تفسير جزء عم صـ١٤٣ ، الكشاف ٤ / ٢٢٩ .

(٢) ينظر : الفتوحات الإلهية ٤ / ٥٧٧ ، الكشاف ٤ / ٢٢٩ ، الرازي ٣٢ / ٦٩ ، الأساس ١١ / ٦٦٤٦ ، نظم الدرر ٨ / ٥١٢ .

وفي التفسير وجوه :

أحدها : معنى (حصل) جمع في الصحف، أي : أظهرت محصلاً مجموعها .

وثانيها : أنه لا بد من التمييز بين الواجب، والمندوب، والمباح، والمكروه، والمحظور .

وثالثها : أن كثيراً ما يكون باطن الإنسان بخلاف ظاهره، أما في يوم القيامة فإنه تتكشف الأسرار وتنتهك الأستار، ويظهر ما في البواطن، كما قال : ﴿ **يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ** ﴾ (١) .

واعلم أن حظ الوعظ منه أن يقال : إنك تستعد فيما لا فائدة لك فيه، فتبني المقبرة، وتشتري التابوت، وتغزل العجوز الكفن، فيقال : هذا كله للديدان، فأين حظ الرحمن(٢) .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ** ﴾ .

*** ومناسبة الآية قبلها :**

يقول البقاعي : ولما كان علم ما في الصدور أمراً باهراً للعقل ، قال جامعاً نظراً إلى المعنى لما عبر عنه بالإفراد بالنظر إلى اللفظ ، لأن العلم بالكل يلازمه العلم بالبعض - بخلاف العكس - مؤكداً إشارة إلى أنه مما لا يكاد يصدق ، معللاً للجملة المحذوفة الدالة على الحاسب : ﴿ **إِنَّ رَبَّهُم** ... ﴾ (٣) .

جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئاً عن الإنكار، أي كان شأنهم أن يعلموا اطلاع الله تعالى عليهم إذا بعثر ما في القبور، وأن يذكروه لأن وراءهم الحساب المدقق، وتفيد هذه الجملة مفاد التذييل .

---

(١) سورة الطارق الآية : ٩ .

(٢) تفسير الرازي ٣٢ / ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) تفسير البغوي ٤ / ٥١٨ ، فتح القدير ٥ / ٤٨٤ .

و (الخبير) : مكنى به عن المجازى بالعقاب والثواب، بقرينة تقييده بـ ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ لأن علم الله تعالى حاصل من وقت الحياة الدنيا، وأما الذي يحصل من علمه بهم يوم بعثرة القبور، فهو العلم الذي يترتب عليه الجزاء [1].

قال الزجاج : الله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن المعنى : أنه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم [2].

فالمرجع إلى ﴿ رَبَّهُمْ ﴾، وإنه لخبير بهم ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ وبأحوالهم وأسرارهم، والله خبير بهم في كل وقت وفي كل حال، وإنما يخص هذا اليوم بذلك، لأن هذه الخبرة يعقبها الحساب والجزاء .

إن السورة قطعة رائعة لعرض سلوك الإنسان، والوصول به إلي مرحلة الجزاء، في أسلوب قوي معنى ولفظاً، على طريقة القرآن المبين .

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٠٧ ، ينظر : الفتوحات الإلهية ٤/ ٥٧٧ ، الوسيط ٤/ ٥٤٥ ، في ظلال القرآن ٣٠/ ٣٩٥٩ ، حاشية الصاوي ٤/ ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٨١ ، أبو السعود ٨/ ١٩٢ ، مراج لبيد ٢/ ٤٦١ ، تفسير جزء عم صـ١٤٣ .

(٢) تفسير البغوى ٤ / ٥١٨ ، فتح القدير ٥ / ٤٨٤ .

المبحث الثالث

الإعراب والبلاغة

المطلب الأول
إعراب كلمات السورة

من المعلوم أن الإعراب هو فرع المعنى، والبلاغة هي فرع المبني .

يقول الله عز وجل ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ** ﴾ الواو : حرف قسم وجر، و (العاديات) : مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف .

و ﴿ **ضَبْحًا** ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، أي : يضبحنا ضبحاً، وهذا الفعل المقدر حال من (العاديات)، ويجوز أن تعرب حالاً، أي : ضابحات .. ويجوز أن يكون انتصاب ﴿ **ضَبْحًا** ﴾ بالعاديات، كأنه قيل : والضابحات ضبحاً، لأن الضبح لا يكون إلا مع العدو [1].

﴿ **فَالْمُورِيَاتِ** ﴾ الفاء عاطفة، والموريات عطف على العاديات .

و ﴿ **قَدْحًا** ﴾ فيه الأوجه الثلاثة التي في ﴿ **ضَبْحًا** ﴾ .

قال الزمخشري : وانتصب ﴿ **قَدْحًا** ﴾ بما انتصب به ﴿ **ضَبْحًا** ﴾ [2].

---

(١) قال السمين : قوله تعالى : ﴿ ضَبْحاً ﴾ فيه أوجه :

أحدها : أنه مصدر مؤكد لاسم الفاعل ، فإن الضبح نوعٌ من السير والعدو ، يقال : ضبح وضبع .. وكأن الحاء بدل من العين .

الثاني : أنه مصدر في موضع الحال ، أي : ضابحات ، أي : ذوات ضَبْح .

الثالث : أَنْ يكون منصوباً بفعل مقدر ، أي : تَضْبَحُ ضَبْحاً .

الرابع : أنه منصوب بالعاديات [الدر المصون ٦/ ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ينظر : أبو السعود ٨/ ١٩٠، الكشاف ٤/ ٢٢٨ ، التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٩٩ ، التفسير المنير ٣٠/ ٣٦٧] .

(٢) قال السمين : قوله تعالى : ﴿ قَدْحاً ﴾ يجوز أن يكون مصدراً مؤكداً ، لأن الإيراء من القدح ، يقال : قدح فأورى ، ويجوز أن يكون حالاً ، فالمعنى : قادحات .. قال الزمخشري : انتصب بما انتصب به ﴿ ضبحاً ﴾ [الدر المصون ٦ / ٥٥٨ ، ينظر : أبو السعود ٨ / ١٩٠ ، التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٧] .

و ﴿ **فَالْمُغِيرَاتِ** ﴾ الفاء عاطفة، والمغيرات نسق أيضاً على العاديات .

و﴿ **صُبْحًا**﴾نصب على الظرفية، أي : التي تغير في وقت الصبح، وهو متعلق بالمغيرات.

و ﴿ **فَأَثَرْنَ** ﴾ الفاء حرف عطف، و (أثرن) فعل ماض مبني على السكون، والنون فاعل، والعطف على فعل، وضع اسم الفاعل موضعه، لأن المعنى : واللاتي عدون، فأورين، فأغرين، فأثرن [(١)].

و ﴿ **بِهِ** ﴾ متعلق بأثرن، والضمير على المكان، أو الصبح، قال أبو حيان : وهذا أحسن من الأول، لأنه مذكور بالصريح، وعلى كل من التفسيرين، فالباء في ﴿ **بِهِ** ﴾ بمعنى (في)، وكل ما يتعدى بـ (في) يتعدى بالباء، ولا عكس [(٢)].

و ﴿ **نَقْعًا** ﴾ مفعول به .

و ﴿ **فَوَسَطْنَ** ﴾ الفاء عاطفة، و (وسطن) فعل ما من مبني على السكون، ونون النسوة فاعل .

و ﴿ **بِهِ** ﴾ متعلقان بـ (وسطن) والضمير يعود على الصبح، أو على النقع، فالباء للتعدية، وعلى الأول للظرفية، وقيل : إن الباء حالية، أي : فتوسطن ملتبسات بالغبار، فتكون متعلقة بمحذوف على أنه حال [(٣)].

---

(١) قال السمين : قوله تعالى : ﴿ فَأَثَرْنَ ﴾ عطف الفعل على الاسم ، لأن الاسم في تأويل الفعل ، لوقوعِه صلةً لـ (أل) . قال الزمخشري : معطوف على الفعل الذي وُضِعَ اسمُ الفاعل موضعه – يعني في الأصل – إذا الأصل : واللاتي عدون [الدر المصون ٦ / ٥٥٩ ، ينظر : أبو السعود ٨/ ١٩٠، الانتصاف بهامش الكشاف ٤/ ٢٢٨ ، الكشاف ٤/ ٢٢٩ ، التفسير المنير ٣/ ٣٦٧] .

(٢) ينظر : الدر المصون ٦ / ٥٥٩ .

(٣) قال السمين : وفي الباء في " به " أوجه :

أحدها : أنها للصبح .

الثاني : أنها للنقع ، أي : وسطن النقع الجمع ، أي : جعلن الغبار وسط الجمع ..

الثالث : الباء للحالية ، أي : فتوسطن ملتبساً بالنقع .. =

و ﴿ **جَمْعًا** ﴾ مفعول (أثرن)، قال ابن عاشور : مفعول (وسطن) .

و ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ : الجملة لا محل لها من الإعراب، لأنها جواب القسم [(١)].

و ﴿ **إِنَّ** ﴾ حرف مشبه بالفعل، و ﴿ **الْإِنْسَانَ** ﴾ اسمها، و ﴿ **لِرَبِّهِ** ﴾ متعلقان بـ (كنود)، واللام : المزحلقة، و (كنود) خبر (إن) .

و ﴿ **وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ** ﴾ عطف على الجملة السابقة، وهو المقسم عليه الثاني، و ﴿ **إِنَّهُ** ﴾ إن واسمها، و ﴿ **عَلَى ذَلِكَ** ﴾ متعلقان بـ (شهيد)، واللام : المزحلقة، و (شهيد) خبر (إن) .

و ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾ منسوق على ما تقدم، وهو المقسم عليه الثالث، وإعرابها مثل سابقتها [(٢)].

و ﴿ **أَفَلَا** ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء : عطف على مقدر يقتضيه المقام، أي : أيفعل ما يفعل من المقابح فلا تعلم، و (لا) نافية .

و ﴿ **يَعْلَمُ** ﴾ فعل مضارع مرفوع .

و ﴿ **إِذَا** ﴾ ظرف لمجرد الظرفية، قال زادة : لا يجوز أن يكون ظرفاً لـ ﴿ **يعلم** ﴾، لأن الإنسان لا يراد منه العلم في ذلك الوقت، وإنما يراد منه ذلك في الدنيا، ولا يجوز

= **الرابع** : أن المراد بـ "جمع" : المزدلفة ، فالمراد بالجمع مكان ، لا جماعة الناس [الدر المصون ٦/ ٥٦٠] .

وقال ابن عاشور : والباء في (به) يجوز أن تكون سببية .. ويجوز كون الباء ظرفية [التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٠١] .

(١) ينظر : الدر المصون ٦ / ٥٦٠ ، التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٧ .

(٢) قال السمين : قوله : ﴿ لِحُبِّ الْخَيْرِ ﴾ اللام متعلقة بشديد ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنها للتعدية ، والمعنى : وإنه لقوي مطيق لحب الخير .

والثاني : أنها للعلة ، أي : وإنه لأجل حب الخير لبخيل [الدر المصون ٦/ ٥٦٠ ، التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٨] .

أن يكون ظرفاً لـ ﴿ بُعْثِرَ ﴾، لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا لقوله (خبير)، لأن ما بعد (إن) لا يعمل فيما قبلها، فتعين أن يكون العامل فيه ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ أي : أفلا يعلم الإنسان في الدنيا أنه تعالى يجازيه إذا بعثر .

و ﴿ بُعْثِرَ ﴾ الجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها .

و ﴿ مَا ﴾ موصول نائب فاعل ﴿ بُعْثِرَ ﴾ .

و ﴿ فِي الْقُبُورِ ﴾ متعلقان بمحذوف لا محل له، لأنه صلة ﴿ مَا ﴾ .

و ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ منسوق على ﴿ بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ .

و ﴿ وَحُصِّلَ ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، أي : جمع في الصحف، وأظهر مفصلاً مجموعاً، وقيل : ميز بين خيره وشره، وسمينه وغثه .

و ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ الجملة تعليل لعامل ﴿ إِذَا ﴾ المحذوف، وهو مفعول ﴿ يَعْلَمُ ﴾ أي : أفلا يعلم أنا نجازيه وقت ما ذكر، ثم علل ذلك بقوله ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ ... ﴾ الخ، إن واسمها، و ﴿ بِهِمْ ﴾ متعلقان بـ (خبير)، و ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ ظرف متعلق بـ (خبير) أيضاً، واللام : المزحلقة، و (خبير) خبر (إن) [1].

(١) ينظر : إعراب القرآن وبيانه ٨/ ٣٨٦- ٣٨٩ ، حاشية الصاوي ٤/ ٢٩٤ ، التفسير المنير ٣٠/ ٣٦٨ .

المطلب الثانى
أوجه البلاغة في السورة الكريمة

القرآن الكريم كله مشتمل على التوازن العجيب الدائم بين القدرة على إرضاء العقل بنصوص حكم المعاني، وإشباع النفس بجميل تركيب المباني .

– في قوله تعالى : ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا** ﴾ أي : تسرع في الكر على العدو، وهو كناية عن مدح الغزاة وتعظيمهم [(١)].

– وفي قوله : ﴿ **فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا** ﴾ استعارة لإثارة الحرب، لأن الحرب تشبَّه بالنار، قال تعالى : ﴿ **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ** ﴾ [(٢)]، فيكون ﴿ **قَدْحًا** ﴾ ترشيحاً لاستعارة (الموريات) .

وهي استعارة تصريحية، حيث شبه الحرب بالنار المشتعلة، وحذف المشبه، وأبقى المشبه به [(٣)].

– وفي قوله تعالى : ﴿ **فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا** ﴾ أسند الإغارة التي هي مباغتة العدو للنهب أو للقتل أو للأسر إليها، وهي حال أهلها، إيذاناً بأنها العمدة في إغارتهم [(٤)].

يقول ابن عاشور : إسناد الإغارة إلى ضمير (العاديات) مجاز عقلي، فإن المغيرين راكبوها، ولكن الخيل أو إبل الغزو أسباب للإغارة ووسائل [(٥)].

---

(١) حاشية الصاوي ٤/ ٢٩٣ . يقول الزمخشري : فإن صَحَّت الرواية – يقصد أن المراد بالعادات الإبل – فقد اسْتُعير الضَّبْحُ للإبل ، كما اسْتُعير المَشافِرُ والحافِرُ للإنسان والشَّفتان للمُهْر [الكشاف ٤ / ٢٢٩] .

(٢) سورة المائدة الآية : ٦٤ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠٠ ، إعراب القرآن وبيانه ٨ / ٣٩٠ .

(٤) تفسير أبي السعود ٨ / ١٩٠ ، الفتوحات الإلهية ٤ / ٥٧٥ ، حاشية الصاوي ٤ / ٢٩٤ .

(٥) التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠٠ ، الميزان ٣٠ / ٣٤٦ .

– وفي قوله تعالى : ﴿ **فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا** ﴾ تظهر حكمة عطف الفعل على الاسم، إنما عطف (أثرن) على الاسم الذي هو (العاديات) وما بعده، لأنها أسماء فاعلية تعطي معنى الفعل، وحكمة مجيء هذا المعطوف فعلاً عن اسم فاعل : تصوير هذه الأفعال في النفس وتجسيدها أمام العين، فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم، لما بينهما من التخالف، وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة – وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضي– [(١)].

يقول ابن عاشور : والفاء العاطفة لقوله ﴿ **فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا** ﴾ عاطفة على وصف (المغيرات) والمعطوف بها من آثار وصف المغيرات، وليست عاطفة على صفة مستقلة، مثل الصفات الثلاث التي قبلها، لأن إثارة النقع، وتوسط الجمع، من آثار الإغارة صبحاً، وليس مقسما بهما أصالة، وإنما القسم بالأوصاف الثلاثة الأولى .

فلذلك غير الأسلوب في قول : ﴿ **فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا** ﴾ فجيء بهما فعلين ماضيين، ولم يأتيا على نسق الأوصاف قبلهما بصيغة اسم الفاعل، للإشارة إلى أن الكلام انتقل من القسم إلى الحكاية عن حصول ما ترتب على تلك الأوصاف الثلاثة ما قصد منها بالظفر المطلوب .

الذي لأجله كان العدو والإيراء والإغارة عقبه، وهي الحلول بدار القوم الذين غزوهم [(٢)].

– والفاءات في الآيات [٢، ٣، ٤، ٥] للدلالة على ترتيب ما بعد كل منها على ما قبلها .. فإن توسط الجمع مترتب على الإثارة، المترتبة على الإيراء، المترتب على العدو [(٣)].

---

(١) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف ، للإمام أحمد بن المنير ، بهامش الكشاف ٤/ ٢٢٨ ، أبو السعود ٨ / ١٩٠ ، إعراب القرآن وبيانه ٨ / ٣٨٩ – ٣٩٠ بنص الانتصاف .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠١ ، ٥٠٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ٨ / ١٩٠ ، ١٩١ .

– القسم بالآيات الثلاث الأول لإفادة التوكيد، وكذا التأكيد بإن واللام في جواب القسم الآيات [٦، ٧، ٨] [١].

– ومن بديع النظم وإعجازه : إيثار كلمات { العاديات }، { ضبحًا }، { الموريات }، { قدحا }، { المغيرات }، { صبحًا }، { وسطن }، { جمعًا } دون غيرها، لأنها برشقاتها تتحمل أن يكون المقسم به خيل الغزو ورواحل الحج [٢].

– ومن أوصاف المبالغة كلمة (الكنود) من كَنَد، وكلمة (شهيد)، وكلمة (شديد) . وكذا لام التقوية ﴿ **لَكَنُودٌ** ﴾، ﴿ **لَشَهِيدٌ** ﴾، ﴿ **لَشَدِيدٌ** ﴾ .

– والتقديم في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ لإفادة الاهتمام بمتعلق هذا الكنود، لتشنيع هذا الكنود بأنه كنود للرب الذي هو أحق الموجودات بالشكر [٣].

– وكذا تقديم قوله تعالى : ﴿ **عَلَى ذَلِكَ** ﴾ في قوله : ﴿ **وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ** ﴾ للاهتمام والتعجيب ومراعاة الفاصلة . وقوله تعالى : ﴿ **لَشَهِيدٌ** ﴾، ﴿ **لَشَدِيدٌ** ﴾ .

وكذا في ﴿ **ضَبْحًا** ﴾، ﴿ **صُبْحًا** ﴾ جناس ناقص [٤].

وكذا تقديم قوله : ﴿ **لِحُبِّ الْخَيْرِ** ﴾ للاهتمام بغرابة هذا المتعلق، ولمراعاة الفاصلة [٥]. والأصل : أنه شديد الحب لنفسه، ومن ثم يحب الخير .

– والتفريع في قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَعْلَمُ** .... ﴾ للتعجب من غفلة الإنسان .. وكذا الاستفهام الإنكاري للتهديد والوعيد [٦].

---

(١) ينظر : التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٨ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠١ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠٤ ، وفيه تعريض للقوم المغار عليهم [الميزان ٣٠ / ٣٤٦] .

(٤) التحرير والتنوير ٣٠ ، ٥٠٥ ، التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٨ .

(٥) التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠٥ .

(٦) التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠٦ ، التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٨ .

– والحذف في قوله تعالى ﴿ يَعْلَمُ ﴾ ليوكل إلي السامع تقدير ما يقتضيه المقام من الوعيد والتهويل [١].

– والكناية في قوله تعالى ﴿ لَخَبِيرٌ ﴾ فهو مكنى عن المجازي بالعقاب والثواب، بقرينة تقييده بـ ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ لأن علم الله تعالى حاصل من وقت الحياة الدنيا، وأما الذي يحصل من علمه بهم يوم بعثرة القبور، فهو العلم الذي يترتب عليه الجزاء [٢].

– وتقديم كلمة ﴿ بِهِمْ ﴾ على عامله وهو ﴿ لَخَبِيرٌ ﴾ : للاهتمام به، ليعلموا أنهم المقصود بذلك [٣].

– وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ تجنيس التحريف، وبعضهم يسميه : الجناس المحرّف، وهو الذي يكون الضبط فيه فارقاً بين الكلمتين أو بعضهما، وهو أيضاً : ما اتفق ركناه في أعداد الحروف واختلفا في الحركات، سواء كانا من اسمين، أو فعلين، أو اسم وفعل .

وفيه تضمين، حيث ضمن لفظ ﴿ لَخَبِيرٌ ﴾ معنى المجازاة، أي : يجازيهم على أعمالهم [٤].

– وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ الجناس اللاحق، وهو الذي أبدل أحد ركنيه حرف واحد بغيره من غير مخرجه [٥].

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَشَهِيدٌ ﴾، ﴿ لَشَدِيدٌ ﴾، ﴿ الصُّدُورِ ﴾، ﴿ الْقُبُورِ ﴾ سجع مرصع [٦].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠٦ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٠٧ ، حاشية الصاوي ٤/ ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، في ظلال القرآن ٣٠/ ٣٩٥٩ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٠٧ .

(٤) إعراب القرآن وبيانه ٨ / ٣٩٠ ، التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٨ .

(٥) إعراب القرآن وبيانه ٨ / ٣٩١ .

(٦) التفسير المنير ٣٠ / ٣٦٨ .

- هذا، ومن طرائف السورة المباركة :

أن المقسم به ثلاثة أشياء، والمقسم عليه ثلاثة أشياء، والإنذار ثلاثة أشياء، وآيات كل نوع تتفق في حرف الفاصلة .

وأن الثلاثة الأول ختمها بحرف (حاً) - المنونة - وكأنه إشارة إلي حمحمة الخيل، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه (أح أح)، والواو هنا (حاً، حاً، حاً) وهذا أولى مما نسب إلي ترجمان القرآن .

وهنا آيتان من أثر الثلاثة الأول، جاء ختمهما بحرف (عاً) المنونة .

ثم جاء ختم الثلاثة المقسم عليها بحرف (دُ) – المنونة – المسبوقة بحرف العلة .

– ثم كان الثلاثة الأخيرة مختومة بحرف (د) - المكسورة مرتين ومنونة في الأخيرة - المسبوقة – أيضاً – بحرف العلة .

والذي وراء ذلك من ملاحظات :

– **أولاً** : الآيات الثلاثة الأول - المقسم به - والتي ختمت بحرف (حاً) بالنصب مع التنوين : إشارة إلي اندفاع الخيل في سبيل الله، مع اندفاع الحمحمة والإبراء والقدح، وسرعة الإغارة .. والحاء : لحاسة الأذن – غالباً .

ومقطع هذه الآيات الثلاث يميل إلي القِصر الملحوظ، لسرعة مشاهد خيل الجهاد وتلاحقها .

– **ثانياً** : والآيتان الملحقتان – من أثر الثلاث الأول – ختمتا بحرف (عاً) والعين : للنظر والمراقبة .

ومقطع الآيتين يميل إلي القِصر أيضاً .

– **ثالثاً** : والآيات الثلاث – جواب القسم – ختمت بحرف (د) بالرفع مع التنوين – مع سبقها بحرف لين –، والدال : دلالة على المداولة وعدم دوام الحال ..

وحرف اللين بطبعه يتيح للنفس أن يمتد، وبذلك تفرغ النفس أكبر قدر ممكن مما بها من شعور .

ومقطع هذه الآيات الثلاث يميل إلي التوسط .

– **رابعاً** : الآيات الثلاث الأخيرة -للتهديد والوعيد- وقد ختمت بحرف (ر) المجرور مرتين بلا تنوين، ومرفوعة الأخيرة مع التنوين - مع السبق بحرف عين - وحرف الراء : نطقه يدل على التكرار، وتكرار الإنذار من رحمة الله العزيز الغفار، ومقطع هذه الآيات يميل إلي الطول .. وفيه إشارة إلي إطالة فترة الإنذار للإعذار .. وذلك في حالة هدوء النفس، وبينما الهدوء يأخذ في الوضوح تدريجياً، فإن الآيات تأخذ في الطول تدريجياً كذلك .

يقول سيد قطب : والإيقاع الموسيقي فيه خشونة ودمدمة وفرقعة ، تناسب الجو الصاخب المعفر الذي تنشئه القبور المبعثرة ، والصدور المحصل ما فيها بشدة وقوة ، كما تناسب جو الجحود والكنود ، والأثرة والشح الشديد .. فلما أراد لهذا كله إطاراً مناسباً، اختار من الجو الصاخب المعفر كذلك ، تثيره الخيل العادية في جريها ، الصاخبة بأصواتها، القادحة بحوافرها ، المغيرة فجاءة مع الصباح ، المثيرة للنقع والغبار ، الداخلة في وسط العدو على غير انتظار، فكان الإطار من الصورة والصورة من الإطار [1].

(١) في ظلال القرآن ٣٠/ ٣٩٥٧ .

الخاتمـــــة

الحمد لله تعالى في البدء والختام، ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه الأخيار الكرام .

وبعد :

فهذا ما يسره الله تعالى لي من الوقوف على تفسير هذه السورة المباركة، وإبراز ما فيها من مقاصد وأهداف، وما ذكر فيها من صحيح التأويل، وعلى الرغم من قصر السورة، فإن فيها أقوالاً كثيرة .

وهذا ما اختص به الكتاب العزيز، فهو لا تنتهي فوائده، ولا تنقضي عجائبه، ولا تنعدم نجائبه، ومن أهم هذه الفوائد :

١) أقسم الله تعالى بالخيل العاديات، والله لا يقسم إلا بعظيم من مخلوقاته التي تدل على عظمته، وفي ذلك إشارة إلي فضل الجهاد وعظيم مكانته .

٢) في الآيات الكريمة إشارة إلي العناية بالخيل، والاهتمام بتدريبها وتهيئتها لكل المهام التي يحتاج إليها فيها .

٣) أن الله عز وجل خلق الإنسان وجعله محل الابتلاء، فطبعه على بعض الصفات الذميمة، وكلفه بالمجاهدة على التخلص منها وتهذيب نفسه من أضرارها . قال تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾ [1].

٤) أن القلوب عليها مدار صلاح الإنسان وفساده، فإذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله .

٥) لفت الأنظار إلي عدم الركون إلي الدنيا، والهمة العالية في البذل والعطاء في سبيل الله، والاستعداد بالعلم للقدرة على المسارعة والمسابقة في جميع المجالات التي تعود على الإنسانية بالنفع .

---

(١) سورة الشمس الآيتان : ٩ ، ١٠ .

ويمكن القول : أن هذه السورة الكريمة تحث الإنسان على أن يكون إيجابياً في هذه الحياة، ينبغي من كل أعماله وجه ربه الأعلى كي يثاب في الحياة الأخرى وفق أعماله الصالحة .

وأوصي : بكثرة الاهتمام بالتفسير التحليلي، ففيه ثراء لغوي، وذلك بالوقوف على معاني الألفاظ، والتي يترتب عليها كثرة المحامل - والقرآن الكريم حمال أوجه - وعليه يكثر الاستنتاج، وتغزر الأحكام، وتظهر الحكم الكثيرة من وراء كل نص قرآني ..

كما أوصى : بقراءة تراث السابقين في مجال التفاسير المختلفة، فالآخر يبنى على منوال الأول ويزيد، ولا أغفل الاستعانة بالحديث الشريف، فالحديث خير ما يفسر القرآن – بعد القرآن .

وأوصي أولاً وقبل كل شيء بحفظ القرآن الكريم جيداً، لكل من يريد الدخول في مجال التفسير .

والحمد لله رب العالمين، وصلي الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ثبت المراجع

١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، ط / ١٩٦٨م، دار التراث .

٢) إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي .

٣) الأساس في التفسير، سعيد حوى، ط ١ / ١٩٨٥م، دار السلام .

٤) أسباب النزول، لأبي الحسن على بن أحمد الواحدى، مكتبة المتنبي .

٥) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط ٩ / ٢٠٠٥م .

٦) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، بهامش الكشاف، أحمد بن المنير الأسكندري .

٧) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د/ عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م .

٨) البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، ط٢/ ١٩٨٣م، دار الفكر .

٩) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ط١/ ١٩٩١م، دار الفكر، دمشق .

١٠) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار المعرفة، ط ١ / ١٩٨٦م .

١١) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، دار الكتب العلمية، ط ١ / ١٩٨٨م .

١٢) تفسير الرازي، دار الفكر، ط ٣ / ١٩٨٥م .

١٣) تفسير الفاتحة وجزء (عم)، الإمام محمد عبده، الهيئة العامة لقصور الثقافة .

١٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط / الحلبي .

١٥) التفسير المنير، د/ وهبة الزحيلي، ط١/ ١٩٩١م، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت .

١٦) تفسير النهر الماد من البحر المحيط، بهامش تفسير البحر المحيط .

١٧) جامع البيان، ابن جرير الطبري، دار الفكر .

١٨) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى، دار الكتب العلمية، ط ١ / ١٩٨٨م .

١٩) الجواهر في تفسير القرآن، الشيخ الحكيم طنطاوي جوهري .

٢٠) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، الشيخ أحمد الصاوي، ط / الحلبي .

٢١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٩٩٣م .

٢٢) الدر المنثور .

٢٣) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الآلوسي، دار الفكر .

٢٤) سنن الترمذي .

٢٥) سنن ابن ماجة .

٢٦) سنن النسائي .

٢٧) صحيح البخاري .

٢٨) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر .

٢٩) الفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين، سليمان بن عمر العجيلي، الشهير بالجمل، ط / الحلبي، دار المنار للنشر والتوزيع .

٣٠) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط١١ / ١٩٨٢م .

٣١) الكشاف، الزمخشري، ط / دار المعرفة .

٣٢) لسان العرب، ابن منظور .

٣٣) مراح لبيد، تفسير النووي، ط / الحلبي .

٣٤) المصباح المنير – في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف / أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية .

٣٥) معاني القرآن للفراء، تحقيق د / عبد الفتاح شلبي، دار السرور، بيروت .

٣٦) معجم ألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية .

٣٧) المفردات، الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط / محمد سيد كيلاني، ط/ ١٦٩١م، الحلبي .

٣٨) الميزان في التفسير، للعلامة السيد محمد حسين الطبطبائي، ط٢/ ١٩٧٤م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .

٣٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية .

٤٠) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، تحقيق / عادل عبد الموجود وآخرين، ط١ / ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية .

فهرس الموضوعات

الموضــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	١٤٩
تمهيد	١٥٢
المبحث الأول : التفسير اللفظي لكلمات السورة الكريمة .	١٥٨
تمهيد	١٥٩
المبحث الثاني : التحليل والاستنتاج لآيات السورة الكريمة .	١٦٩
تمهيد	١٧٠
المطلب الأول : المقسم به .	١٧٣
المطلب الثاني : المقسم عليه .	١٨٣
المطلب الثالث : عرض صورة من مشاهد البعث والحساب والجزاء .	١٩٢
المبحث الثالث : الإعراب والبلاغة .	١٩٦
المطلب الأول : إعراب كلمات السورة .	١٩٧
المطلب الثاني : أوجه البلاغة في السورة الكريمة .	٢٠١
الخاتمة	٢٠٧
ثبت المراجع	٢٠٩
فهرس الموضوعات	٢١٢